الفصل الثانى

مراكز العلم وأهم المعاهد العلمية فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى

●●●●●●●

أولا: اهتمام السلاطين والوزراء والحكام بالعلم والعلماء

******

أولا: اهتمام السلاطين والوزراء والحكام بالعلم والعلماء فى إقليم خوارزم:

اتسع أفق الفكر الإسلامى فى عصر السلاجقة اتساعا كبيرا، فقد كانت ملكات المسلمين فى البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج كنتيجة طبيعية لحركة الترجمة التى نشطت فى الدولة العباسية، وكثرة تنقل رجال العلم والأدب فى مشارق العلام الإسلامى ومغاربه، فى ذلك الوقت للاتصال بحكام الدول التى استقلت عن الخلافة العباسية، فنشطت الحركة الفكرية، وراجت الثقافة، وزخر بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء[1]. وبذلك نشطت الحركة الفكرية فى إقليم خوارزم، وزخرت مدن وقرى هذا الإقليم بالعلماء والشعراء والأدباء وغيرهم، وارتفع شأن العلماء فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، بفضل تشجيع السلاجقة والخوارزميين ووزرائهم.

ففى عهد السلطان طغرلبك (٤٢٩ - ٤٥٥هـ/ ١٠٣٧ - ١٠٦٣م) انتشر بناء المساجد، فكان يقول: استحى من الله أن أبنى دارا ولا أبنى بجانبها مسجدا[2]، كما كان وزير عميد الملك الكندرى ٤٥٦/ ١٠٦٣م[3]، يحترم الفقهاء ويجلهم فى حياتهم

(١) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط١، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٩٢. توفيق الطويل: الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية، مكتبة التراث الإسلامى، القاهرة، القاهرة بدون ص ١٠٨.

(٢) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٨.

(٣) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ترجمة وتعليق د./ أحمد كمال الدين حلمى، الكويت، ١٩٨٤م، ص ٦٦ الكندرى: نسبة إلى كندر، قرية من نواحى نيسابور من اعمال طريثيث، ياقوت الحموى، معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص١٥٤.

ومماتهم[١]. وأن كان يبالغ فى اهتمامه بأئمة المذهب الحنفى - مذهبه، وكان شديد التعصب على الشافعية[٢]، كما كان متصوفا[٣]، كما أظهر اهتماما بالغا بالنواحى الأدبية، وكانت له إياد بيضاء فى الكتابة والفصاحة، وكانت له مؤلفات عديدة، بالغتين العربية والفارسية، كما كان من الأدباء الكبار، حتى أن معظم المؤرخين يرجع ازدهار دولة طغرلبك إلى كفاءة هذا الرجل، وشهرته العلمية والأدبية[٤].

كان إقليم خوارزم من أمهات القاليم التى كانت تستقبل الإشعاع الفكرى وتبثه فى الأقاليم المجاروة، ولذلك ولى طغرالبك عميد الملك أمر إقليم خوارزم[٥]، ويدل على مكانة الوزير عميد الملك الأدبية أن النظامى العروضى[٦]: حين تحدث عن ماهية وصفة الكاتب الكامل، أوصى من يريد بلوغ درجة الكمال فى هذه المهنة أن يضطلع كتب السلف ممن كان لهم باع فى هذا المجال، وكان من عددهم من هؤلاء عميد الملك الكندرى.

وكان له فضل وشعر[٧]، ومن شعره لنفسه:

أنا مشغول بحبه وهو مشغول بلعبه

لو أراد الله خيرا وصلاحا لمحبة

نقلت رقة خديه إلى قسوة قلبه[٨]

---

(١) البندارى: آل سلجوق، ص ٢٥.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٣٨.

(٣) خواندمير: (غياث الدين خواندمير)، دستور الوزراء، تأليف وترجمة وتعليق د./ حربى أمين سليمان، قدمة د./ فؤاد عبد المعطى الصياد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠، ص٢٤٤.

(٤) محبوبة، نظام الملك كبير الوزراء فى دولة الإسلامية، الدر المصرية اللبنانية، ط١، ١٩٩٩م، ص٢١٦.

(٥) الباخرزى: (أبو الحسن على بن الحسن بن أبى طيب الباخرزى، ت ٤٦٧/ هـ ١٠٧٤م) دمية القصر وعصره أهل العصر، جزءان، تحقيق د./ سامى مكى العاينى، ط، مكتبة دار العروبة الصفار، الكويت، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، ج٢، ص١٣٩.

(٦) جهاز مقاله، المقالة الأولى، ص ٢٣٢، وكان يتمتع معظم وزراء السلاجقة بمقدرة فائقة على الكتابة بما يملكون من حسن الخط وبلاغة الأسلوب، عبد الهادى محبوبة: من رسائل نظام الملك، مقال بمجلة معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية، ١٣٨١هـ/ ١٩٦١، ص١٦٠.

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٦، ص ٩٢.

(٨) الأصفهانى: (عماد الدين الأصفهانى)، ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق د./ عدنان محمد الطعمة، ٣ أجزاء، ط١، مرآه التراث، إيران، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج٢، ص ٤٢، ٤٣.

وقد حظى الأدباء فى عهده باهتمامه ورعايته، وإغداقه الأموال عليهم[١]، فأصبح عميد الملك ممدوحا من قبيل الشعراء، مثل الباخرزى الذى قال فيه:

طاب العميد الكندرى شـــمائلا حتى استـعار الروض فيه تفاؤلا
يدعى أبا نصـر، وصـنع الله نا صره أخـيم أم توجـه راحـلا
طمحـت إلى خوارزم همته كما سلك الهزبر إلى العرين قد اخلا
لما غدا جيحـون طـوع مراده كيف اقتضـاه جامدا أو سائلا[٢]

وفى عـهد الـسلطان ألب أرسـلان (٤٥٥ - ٤٦٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٧٢م) وعهـد السلطان ملكشاه (٤٦٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٧٢ - ١٠٩٢م)[٣]، نشطت الحركـة الفكرية فى العالم الإسلامى، بفضل الوزير (نظام الملك أبو على حسن بن على بن إسحاق الطوس) (٤٥٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٩٢م) الذى لم يتـفق لغيـره، مـا اتفق له من ازدحـام العلمـاء عليه، وترددهم إلى بابة وثنائهم علـى عدله[٤]، وليس غريبـا على هذا الوزير اهتمامه بالعلم فهو من أولا الدهاقين[٥]، وقد اشتغل بالحديث والفقه[٦]، على المذهب بالشـافعى، وحفـظ القرآن[٧]، وكـانت مجـالسـه عمـورة بالعلمـاء، مأهولة بالأئمـة والزهاد[٨]. والقراء والفقهاء[٩]، والصوفية كثير الإنعام عليهم[١٠].

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ٦٨.
(٢) الباخرزى: دمية القصر وعصره أهل العصر، ج٢، ص٢٩٨.
(٣) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٦٩.
(٤) السبـكى: (تاج الدين أبى نصر عـبد الوهاب بن على بن عـبد الكافى السـبكى، ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م. طبقات الشافعية الكبـرى تحقيق محمود محمد الطناحى وعبد الفتـاح محمد الحلو، ١٠ أجزاء درا إحياء الكتب العـربية، القاهرة، بدون، ج٤، ص ٣١٣، نظام المـلك: (أبو على الحسن بن على بن إسـحاق الطوسى)، ت ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م، سياسة تامـة، ترجمة وتعليق د./ السيد محـمد العزاوى/، الناشر/ دار الرائد العربى، توزيع دار ركابى، بدون ترجمة المؤلف، ص٥.
(٥) الدهاقين: جمع دهقـان كلمة فارسية معناها رئيس الإقلـيم، العينى: (بدر الدين العينى)، ت ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م، السيف المهند فى سـيرة الملك المؤيد، حققـه فيهيم مـحمد شلتوت، راجـعه محمـد مصطفى زيادة، قدم له فهيم محمد شلتوت، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، بدون، حاشية٢، ص ١٠٩.
(٦) ابن الأثيـر: الكامل، مج٨، ص٤٨٠، ابن خلكان: وفـيات الأعـيـان، مج٢، ص ١٢٨، ابن العمـاد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٣، ص ٣٧٣.
(٧) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٢، ج١٢، ص ١٥١، خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٤٥.
(٨) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٣١٣.
(٩) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٤٩، الذهبى: دول الإسلام، ج١، ص ٤١٧.
(١٠) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٢، ج٣، ص ٣٧٤، محبوبة، نظام الملك، ص ٢٥٤-٢٥٥.

وقد جعل فى داره ندوة يوم الاثنين من كل أسبوع يرتدها العلماء والأدباء دون تقيد بسن[١] أو مذهب[٢] ورغب الطلبة فى العلم، وأغدق عليهم الأموال[٣]، فنشأ للناس أولاد نجباء[٤]، منهم الزمخشرى محمود بن عمر بن أحمد (٤٦٧ - ٥٣٨هـ - ١٠٧٤ - ١١٤٣م) وكان أستاذه محمود بن جرير الضبى الأصفهانى ت ٥٠٧هـ - ١١١٣م[٥]، مقرنا من الوزير نظام الملك، فأوصله بنظام الملك، ولذلك كان الزمخشرى مقربا من نظام الملك، ومن عطفه ونعمه[٦]، فمدح الزمخشرى نظام الملك بقوله:

إليك ربيب الملك أشكر أنعما ليمناك هطالا على ربابها

ودائمة من لك الدعوى التى يجوب السماوات العلى مستجابها[٧]

وكان الوزير نظام الملك مؤيدا بخوارزمى هو شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور بن محمد صاحب ديوان الزمام والاستيفاء[٨]، ت ٤٩٤هـ/ ١١٠٠، وكان مؤيدا ومعينا لنظام الملك[٩] وكان متعصبا لأصحاب أبى حنيفة[١٠] وبنى لهم المدارس[١١].

---

(١) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١.

(٢) ابن رجب: (زين الدين أبى الفرج عبد الرحمن من شهاب الدين أحمد البغداديثم الدمشقى الحنبلى)، ت ٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م، كتاب الذيل على طبقات الحنابلة، جزءان، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، بدون، ج١، ص ٥٤.

(٣) الذهبى: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٤٩.

(٤) البندارى: آل سلجوق، ص ٥٩.

(٥) ياقوت الحموى: (أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومى الحموى)، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب فى معرفة الأديب، ٥ مجلدات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/ : ١٩٩١م، مج ٥، ص ٤٨٩.

(٦) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشرى فى تفسير القرآن وبيان اعجازه، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، بدون ٣٢.

(٧) الزمخشرى: (أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى)، ت ٥٣٨هـ، ١١٤٣م، ديوان الأدب، مخطوط الثانية بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٢٩ أب، ورقة ١٣.

(٨) الاستيفاء: هى وظيفة رئيسية، وعلى متوليها مدار أمور الدولة فى الضبط والتحرير ومعرفة أصول الأموال ووجوه مصارفها، ويكون فيها مستوفيان، فأكثر. القلقشندى: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٣٠، مواهب عبد الفتاح: الحياة السياسية ومظاهر الحضارة فى دولة الأتراك السلاجقة على عهد السلطان ملكشاة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة، ١٩٨٢م، ص ١٠٤.

(٩) سبط بن الجوزى: أبو المظفر شمس الدين يوسف قزو أغلى، ت ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦، مرآه الزمان فى تاريخ الأعيان، مخطوط بدار الكتب المصرية، ج٨، تحت رقم ٥٥١ تاريخ ميكروفيلم رقم ٦٤٣٥، ح٨، ورقة ١٠٩.

(١٠) ابن الجوزى: المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ١٠ أجزاء، ط١، مطبعة، دائرة المعرف العثمانية، حيدر آباد الدكن، دار صادر - بيروت ١٣٥٩هـ، ج٩، ص ١٢٨.

(١١) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص ١٧٣.

وعلى الرغم من اهتمام الوزير نظام الملك بالعلوم الدينية، إلا أنه لم يغفل النواحى الأدبية، بل أن نظام الملك نفسه ساهم فى هذه النهضة الأدبية، مما جعله فى مصاف الأدباء والمؤرخين والمشرعين الكبار(١). ولعل أهم اسهامته فى هذا المجال كتابه «سياسة نامة» والذى يتضمن معلومات تاريخية هامة فى النواحى الثقافية والاجتماعية والدينية والاقتصادية(٢).

وكان نظام الملك يميل إلى الشعر، ويقرب إليه الشعراء، ويغدق عليهم الأموال(٣).

وتزخر «دمية القصرِ» للباخرزى، بمدح الوزير(٤).

ومن شعراء خوارزم الذين شملهم نظام الملك برعايته الشاعر الحسن بن المظفرؤ النيسابورى(٥)، الذى مدح نظام الملك وهو بخوارزم.

الآن صح من الزمان ضمان ... وأتى من القدر المخوف أمان
قالوا: خوارزم انطوى إقبالها ... وأصحابها الإدبار والخذلان
كذبوا وحق الله فهى بدوله ال ... ملك المظفر للسعود قران
جذب الملوك من النواحى نحوها ... ملك الورى تاج العلا السلطان
خفق اللواء بها النظامى الذى ... منه لأحشاء العدا خفقان
فتأرحجت ريح السعادة سجحا ... وأقام فيها الروح والريحان
راعى رضا خليفة الرحمن ما ... أوصاه فيها ربنا الرحمن
ولذلك ما أصفاه بالرتب العلا ... شاها نشاه فجل منه الشان
ملك رأى بوزيره أضعاف ما ... ببرز جمهر رأى أنوشروان
أمن الورى أن سفل الإيمان فد ... تأبى على أعلى الإيمان؟(٦)

(١) نظام الملك: سياسة نامة، مقدمة المترجمة، ص ٥.
(٢) نظام الملك: نفسه، ص ١٧.
(٣) محبوبة: نظام الملك، ص٢٥٥.
(٤): عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٨٢.
(٥) الحسن بن المظفر النياسبورى: لقب الخوارزمى، وكان مؤدب أهل خوارزم فى عصره أهل فى عصره، ياقوت الحموى، معجم الأدباء، مج ٥، ص ٩٥.
(٦) الباخرزى: دمية القصر وعصره أهل العصر، ص ٣٠٠: ٣٠١.

كما كان نظام الملك نفسه شاعرا ومن شعره:

بعد الثمانين ليس لى قوة لهفى على قـــوة الصبوة

كأننى والعصـــا بكفى موسى، ولكن بلا نبوة[١]

ومن شعره أيضا:

محـــاذرتك عدو صديقــك جــائزة

ولك فى صحبة أصدقاء صديقك خير

ولا تأمـــن من النـــاس لطائفتـــين

أصدقاء عدوك، وأعداء صـــديقك[٢]

كمـا يحسب لنظام الملك أنه أرسى منشآت ليـر والبر[٣]، فبنى المدارس[٤]، تلك المدارس التى انتشرت فى أنحاء المدن الإسلامية[٥].

والتى حملت اسمـه «المدارس النظامية»[٦]، وأشهرها نظاميـة بغداد التى أصبحت النواة التى أنشـئت عليـها المدارس فى المدن الإسـلاميـة ومنها خـوارزم[٧]، وكان على خـوارزم من قـبل نظام الملك، ابنـه عز المـلك بن الملك ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، وكـانت جميع شـئون الحكومة فى يده، وبنى المدارس على غرار المدرسة النظامـية فى بغداد[٨]، هذه المدارس التى بفضلها ازدهرت الحـركة الفكرية فى إقليم خوارزم[٩]. وجعل فى هذه المدارس دور للكتب[١٠] وكان نظام الملك يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق فى اختيـاره، ويجب أن يكون عالما عارفـا سنى المذهب شافعيـا أصلا وفروعا له مـعرفة

---

(١) الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر،/ ج ٢، ص ٦٠.

(٢) نظام الملك: سياسة نامة، ص ٢٠٧.

(٣) خواندمير: دستور الوزراء، ص ,٢٥٢

(٤) ابن الجـوزى: شذور العـقود، مخـطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٩٩٤، مـيكروفيلـم ٣٥٨٢٦، ورقة ١٥٢.

(٥) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٣١٣.

(٦) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٤٢، خواندمير: دتور الوزراء، ص ٢٥٢.

(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٣١٣، محبوبة: نظام الملك، ص ٤٠٠.

(٨) عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ١٦٤.

(٩) نظام الملك: سياسة نامة، ص ٥.

(١٠) نظام الملك: نفسه، ص ٥، عباس إقبال: الوزارة فى عهد السلاجقة، ص ٨٢.

جيـدة بالآداب والعلوم، حسن الخط، جـيد الضبط، كـتب الكثيـر من كتب الأدب[١]، وكان الإقبال على تلك المدارس من الطلاب والعلماء على السواء[٢].

ولقد ظهر فى إقليم خوارزم، علماء عظماء، أثروا المكتبـة الإسلامية بعدد كبير من المؤلفـات العلمـية فى شـتى أنواع العلـوم المختلفـة، اشـهرهم الـزمشـرى ت ٥٣٨هـ، ١١٤٣م[٣].

كذلك كـان علم الفلك والتنجيم[٤] من العلوم التى اهتم بها السلاطين والوزراء، وخاصة «نظام المـلك» الذى جمع، الفلكيين والمنجمـين، وجعلوا «النوروز»[٥] أول نقطة من الحمـل، وكان قبل ذلك عـند حلول الشمس نصف الحـوت، وصار مـا فعله مـبدأ التقاويم[٦].

وكـان للوزير سعـيد بن سـهل بن محـمـد بن عبـد الله النيسـابورى، الأصل، الخـوارزمى، المشهـور بالفلكى، ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م، وزير إيـل أرسلان بن آتسـز بن محمد بن نوشتكين، ت ٥٦٨هـ، ١١٧٢م، اهتمام كبير، بعلم الفلك والتنجيم[٧].

وكان للسلطان علاء الدين محمد خـوارزمشاه ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م أيضا، اهتمام كبير بعلم الفلك والتنجيم[٨]، فقد ألف له الإمام فخر الديـن محمد بن عمر الرازى ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م، كتاب الأحكام الإعلائية فى الأعلام السماوية «باللغة الفرنسية، وهو مختصر فى الاختبارات النجومية[٩].

(١) محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام، ط٦، ١٩٩٤م، ص١٥٣.

(٢) يحيى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، بحث بمجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية، العدد الخامس، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م، ص ٥٦٧,

(٣) مريزن سعيـد مريزن العسيرى: الحياة العلمـية فى العراق فى العصر السلجوقى مكتـبة الطالب الجامعى، مكة المكرمة، السعودية، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص ٢٦٢.

(٤) لمزيد من التفاصيل: راجع الفل الثالث، ص ١٤٩: ١٥٢.

(٥) النوروز: كلمة فارسية مـركبة من لفظين أولهما «نو» بفتح وضمها أى «الجـديد» وثانيهما «روز» أى اليوم أى اليوم الجديد – أما فى الاصطلاح فتطلق على رأس السنة الفارسية الذى يقع فى اليوم الأول من شهر فرور دين الموافق ٢١ مارس (آذار أى أول فـصل الربيع وقد استعملت كلمة (نوروز» فى اللغـة العربية، وان كانت كلمة النيروز أكثر استعـمالا. فؤاد عبد المعطى الصياد: النوروز وأثره فى الأدب العربى، طبع دار الأحد (البحرين أخوان)، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٣: ١٤.

(٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٤٩٩.

(٧) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٥٦٠.

(٨) القزوينى: (ذكرياين محمد بن محـمود) ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م، عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، ط ٥، مطبعة مصطفى البابى الحلبى، ١٤٠١هـ/ ص ١٠.

(٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص ١٩.

كان حاكم إقليم خوارزم فى عهد السلطان ملكشاه (٤٦٥ – ٤٨٥هـ، ١٠٧٢ – ١٠٩٢م) نوشتكين (٤٧٠ – ٤٩٠هـ/ ١٠٧٧ – ١٠٩٦م)، وكان له ولد اسمه محمد، نشأ عاقلا نجيبا أديبا، فأشغله والده فى العلم والأدب[١].

وعندما توفى نوشتكين ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م، وخلفه ابنه محمد ولقب قطب الدين محمد خوارز مشاه ٤٩١ – ٥٢١هـ/ ١٠٩٧ – ١١٢٧ م، حاكما على خوارزم، وكانت دولته ثلاثين سنة[٢].

وتولى السلطان بركيارق السلطة (٤٨٩ – ٤٩٨هـ/ ١٠٩٥ – ١١٠٤م)[٣]، وولى أخاه سنجر خراسان[٤]. فأقر محمد بن نوشتكين على خوارزم، فظهر كفايته[٥]، وكان عالما الأمر حيث كان عارفا بالتفسير[٦]، وأحسن السياسة، وقرب العلماء، وأغدق عليهم الأول[٧]. ومن العلماء المقربين لخوارز مشاه محمد بن نوشتكين، الطبيب شرف الدين إسماعيل ٥٣١هـ/ ١١٣٦م، وكان فى خدمته، وله من الإنعام الوافر والمرتبة العالية، وكان له مقرر على السلطان فى كل شهر ألف دينار، وكانت له معالجات بديعة وآثار حسنة فى صناعة الطب[٨]. والقاضى صاعد بن منصور بن إسماعيل بن صاعد، قاضى خوارزم، وخطيبها، وتولى التدريس والخطابة والتذكير فى مدارس ومساجد خوارزم، وتوفى ٥٠٦هـ/ ١١١٢م[٩]، والمحدث إسماعيل بن الحافظ أبى بكر بن الحسين، ت ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م، وكان له تدريس علم الحديث فى مدرسة خوارزم[١٠].

ولما توفى محمد بن نوشتكين سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م/ تولى بعده ابنه آتسز (٥٢١ – ٥٥١هـ، ١١٢٧ – ١١٥٦م) وأقره السلطان سنجرت ت ٥٥٢/ ١١٥٧م على ملك خوارزم[١١].

---

(١) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٩١.
(٢) الذهبى: نفسه، ج٢، ص ٥٢٢، فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٧.
(٣) أبو الفدا: المختصر، مج١، ج٢، ص ٢٠٩، السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٠٤,
(٤) الراوندى: راحة الصدور، ص ٢٢١.
(٥) ابن الأثير: الكامل، مج٩، ص ١٠، عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٣.
(٦) الذهبى: سيرة أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٢٢.
(٧) الذهبى: نفسه، ج٣، ص٩١.
(٨) ابن أبى أصيبعة: (موقف الدين أبو العباسى أحمد بن القاسم السعدى)، ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، مجلدان، ٣ أجزاء، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط ١٤٠١، ٣هـ/ ١٩١٨م، ج٣، ص ٤٨.
(٩) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٧، ص١٢٩.
(١٠) ابن كثير: البداية والنهاية\، ج١٧، ص ١٠٩.
(١١) الراوندى: راحة الصدور، ص ٢٢٧، الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٥٢.

وعلى الرغم من الصراع السلجوقى الخوارزمى السلطان سنجر - آتسز خوارز مشاه، الذى بدأ ٥٣٣هـ، ١١٢٨م، وانتهى بقتل طغرل آخر سلطان سلجوقى ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م، لم يقتصر هذا الصراع على الحرب، بل تعدى إلى ميدان الشعر، فأتخذ كل واحد منهما شاعرا أختص بمديح صاحبه وهجو عدوة فلقد حظى الأديب الشاعر محمد بن الجليل العمرى الملقب بالرشيد الوطواط ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م، برعاية واهتمام خوارز مشاه آتسز، وجعله شاعره الخاص[١]، فكان الوطواط يكيل له لمديح ويذم عدو سنجر، كما كان الأنورى[٢] شاعر السلطان سنجر، يكيل له المديح ويذم عدوه آتسر[٣].

ففى سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م، أثناء حصار السطان سنجر، لقلعة هزاراسب[٤]، نظم الأنورى، قصيدة فارسية ألقاها فى سهم على القلعة المحاضرة، معناها:

أوه أيها الشاه[٥] كل ممالك العالم لك

بالخط والسعادة، مملك لك

لتأخذ اليوم واحدة هزاراسب

وغدا خوارزم ومئه ألف فارس سيكونون لك[٦]

ورد عليها الوطواط:

أوه أيها الشاه[٧] لو كان عدوك البطل رستم[٨] نفسه

(١) الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، ص ١٧٥.

(٢) هو على بن أوحد الدين محمد بن إسحاق المقلب بالأنورى، ولد سنة ٤٩٢هـ/ ١١٠٩م، فى قرية من قرى خراسان، وتعلم الكثير قبل أن يشغل بالشعر إلى جوار اهتمامه بالعلم، وارتفع شأنه فى بلاط سنجر السلجوقى، وصار مادحة وهاجى أعدائه، كما كان واسع الإطلاع فى علم الفلك ت ٥٦٥هـ/ ١١٦٩م إدوارد جرنفيل بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ترجمة وتعليق د/ أحمد كمال الدين حلمى، ج١، ط١، الكويت، ١٩٩٦م، حاشية٣، ص ٢٦٧، رضا زاده شفق: تاريخ الأدب الفارسى، ترجمة محمد موسى هنداوى، القاهرة ١٣٦٦هـ/ ١٩٤٧م، ص ٩١، وما بعدها.

(٣) حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، ص ١٠٣.

(٤) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ٢٨٧، بارتولد: تركستان، ص ٤٧٨.

(٥) الشاه: هو السلطان سنجر السلجوقى.

(٦) الحسينى: زبدة التواريخ، حاشية (٣) ص ١٨٩.

(٧) الشاه: هو آتسز خوارز مشاه.

(٨) رستم: من أشهر أبطال الفرس، وكان الشعراء يكثرون من ذكره فى أشعارهم، ويضربون الأمثال ببطولته بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ص ٧٦، حافظ أحمد حمدى: الدولة الخوارزمية والمغول، حاشية٢، ص ١٠٤.

فهو لن يستطيع أخذ حمار واحد من خيولك الألف[١]

اغتاظ السلطان سنجر لسماعة هذه الآبيات، وأقسم إلا أن يقتله ولكنه صفح عنه[٢].

وعلى الرغم من هذا الصراع الطويل الذى قام بين السلاجقة والخوارزميين إلا أنهم وجهوا اهتمامهم للنواحى العملية، ولم يؤثر انشغالهم بهذا الصراع على اهتمامهم بالآداب الأدباء والشعر وغير ذلك من النواحى الأدبية[٣].

لقد تجلت فى عهد السلطان سنجر نهضة ثقافية شملت العلوم والأدب الفارسى، وأصبحت اللغة الفارسية فى عهده لغة الكتابة والآداب، وذلك على الرغم من عدم إلمامة بالقراءة والكتابة[٤].

ومن وزراء السلطان سنجر الذين كان لهم اهتمام بالعلوم الدينية والأدبية، الوزير نصر الدين محمود المظفر الخوارزمى، فقد كان متبحرا جدا فى العلوم النقلية والعقلية[٥].

وكان آتسز خوارز مشاه، يحترم العلماء ويقربهم إلى، ومن العلماء المقربين لآتسز الطبيب زين الدين إسماعيل بن حسن الحسينى الجرجانى ت ٥٣١هـ/ ١١٣٦م، الذى ألف كتابا باللغة الفارسية، فى علم الطب، وسماه أغراض الطب فى مجلدان، حسب أمر الوزير مجد الدين ابى محمد الصاحب، وزير آتسز خوارز مشاه[٦].

ولقد زخر هذا العصر بالكثير من العلماء والأدباء، فهذا الزمخشرى ٥٣٨هـ / ١١٤٣م الذى حظى برعاية آتسز خوارز مشاه، فألف كتاب «مقدمة الأدب» وأهداه إليه[٧]، وقد شكر ربه فيمنقدمته، أن هداه إلى معرفة اللغة العربية، وفقه إلى حبها[٨].

---

(١) الحسينى: المصدر السابق، حاشية٣، ص ١٨٩.
(٢) حافظ أحمد حمدى: المصدر السابق، ص ١٠٣.
(٣) نظام الملك: سياسة نامة، مقدمة المترجم، ص ٤٠٥.
(٤) محمد محمود إدريس: سلطان السلاجقة الأعظم (السلطان سنجر السلجوقى)، المطبعة التجارية الحديثة، ١٩٨٨م، ص ١٢٤.
(٥) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٨٣.
(٦) النظامى العروضى: جهاز مقاله، حواشى المقامة الرابعة، حاشية ٦، ص ١٦٤.
(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٦٩، الصاوى: منهج الزمخشرى، ص ٦١.
(٨) بروان: تاريخ الأدب فى إيران، ج١، ص ٧٧.

ولقد جرى بين الرشيد الوطواط والأمام الزمخشرى الكثير من الرسائل والمحاورات[١]، وكثيرا ما كان يبدأ رسائله ببعض أبيات الشعر، منها:

لقد حاز جار الله دام جماله فضائل فيها لا يشق غباره

تجدد رسم الفضل بعد اندراسه بآثار جار الله فالله جاره[٢]

هذه الحوارات والمناقشات والمؤلفات إن دلت على شيء، على أن الحياة الفكرية كانت حياة مليئة بالإنتاج العلمى والأدبى.

وبعد وفاة آتسز خوارزم مشاه، تولى ابنه إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين، ملك خوارزم (٥٥١ - ٥٦٨هـ/ ١١٥٦ - ١١٧٢م)[٣] وفى العام التالى ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م، توفى السلطان سنجر بن ملكشاه[٤]، وخلفه على خراسان ابن أخته «محمود خان) الذى كان آخر سلاجقة خراسان، وطرد منها فى سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٢م[٥].

وظل الرشيد الوطواط يحظى برعاية إيل أرسلان، وجمع فى حياته من إنشائه مجموعة «إنشاءات عربية» قدمت لابن إيل أرسلان محمود ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م[٦].

ونتيجة لاهتمام إيل أرسلان بالعلم والعلماء والأدباء والشعر نظم الشعهراء القصائد فى مدخة منها قصيدة للرشيد الوطواط أولها:

غدا الأفلاك منحلا حباها لهيبته ومنفلا طباها

تذل رقاب أبناء العالى إذا ذكرت علا خارز مشاها

هو ابن جلا ألقى الدواهى كلا كلها على حر حلاها[٧]

بعد وفاة إيل أرسلان ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، دب الصراع بين أولاده، واستمر الصراع على السلطة، حتى السلطة، حتى سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م، عندما استقر السلطان تكش

---

(١) كارل بروكلمان: الأدب العربى، ترجمة د./ رمضان عبد التواب، راجع الترجمة، د. السعيد يعقوب بكر، ٦أجزاء، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥، ج٥، ص ١٤٣.

(٢) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٣١.

(٣) أبو الفدا: المختصر فى أخبار النشر، مج٢، ج٣، ص٣٠، ابن الوردى، تاريخ الوردى، ج٢، ص٥٥.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٦، ج١٢، ص ,٢٥٥

(٥) فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٤٩، ١٥٠، بارتولد: تركستان، ق ٤٨٥، ٤٨٦.

(٦) بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٥، ص ١٤٣.

(٧) الأصفهانى: خريدة القصر وجريدة القصر، ج٢، ص ٢٠٣، ٢٠٤.

بن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين فى ملك خوارزم ٥٨٩هـ/ ٥٨٦هـ/ ١١٩٣ - ١١٩٩م)[١] وتمكن من القضاء على طغرال آخر سلاطين السلاجقة وذلك سنة ٥٧١ - ٥٩٠هـ - ١١٧٥ - ١١٩٣م[٢] وأزال دولة السلاجقة.

وكان تكش خوارز مشاه، حسن السيرة، عالما، يعرف الفقه واصوله على مذهب أبى حنيفة[٣]، وبنى مدرسة فى خوارزم، لأصحاب هذا المذهب[٤]، ولقد اهتم بالعلوم النقلية والعقلية، وحظى العلماء فى عصره برعايته، ونتيجة لاهتمام تكش بالعلماء، ألف له العلماء الكتب، ومنهم فخر الدين محمد الرازى، المتوفى ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩ الذى ألف كتابا بالفارسية أسماه «جامع العلوم، وهو كتاب مفيد جدا[٥].

كذلك كان للوزير نظام الملك الدين مسعود بن على وهو ممن وزر لخوارز مشاه تكش ٥٨٩ - ٥٩٦هـ/ ١١٩٣م - ١١٩٩م[٦] عالما بالفقه وأصوله، على المذهب الشافعى، ولقد اهتم ببناء المدارس، فبنى المدرسية النظامية بخوارزم[٧]، ومن فضلاء هذه الفترة أبو المكارم، بن السيد بن على، وكان عالما بالفقه، على المذهب الحنفى، وتفقه عليه ابنه ناصر، صاحب كتاب «المغرب» تكلم فيه على الألفاظ التى يستعملها الفقهاء من الغريب[٨]. فكان جامعا قاصدا مذهب أبى حنيفة[٩].

(١) ابن العبرى: تاريخ مختصر اللدول، ص ٢١٥، أبو الفدا: المختصر فى أخبار البشر، مج ٢، ج٣، ص ٥٣، ابن الوردى: تاريخ ابن الوردى، ج٢، ص ٧٩.

(٢) راجع ابن الأثير: الكامل، مج١٠، ص ٢٣٢: ٢٣٣.

(٣) القرشى الحنفى: محيى الدين ابن محمد عبد القادر بن محمد بن محمد نصر الله ابن سالم بن أبى الوفا القرشى الحنفى، ت ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م، الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، تحقيق د./ عبد الفتاح محمد الحلو، ٥ أجزاء، ط١، هجر للطباعة والنشر، والتوزيع القاهرة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص ٤٧٣.

(٤) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ١٤٢.

(٥) حاجى خليفة: (مصطفى عبد الله القسطنطى الرومى الحنفى الشهير بالملا كاتب الجلبى، ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م، كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، مجلدان، دار الفكر للطباعة، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، مج٢، ص ٥٦٥.

(٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٠٩.

(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٢٩٦، ٢٩٧، ابن كثير: البداية والنهاية، مج١٣، ج٧، ص ٢٩.

(٨) الذهبى: (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى)، ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق د. بشار عواد معروف، ٢٠مجلد، ط٢، مطبعة عيسى البابى الحلبى وشركاه، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، مج ١٨ قسم١، وفيات ٦٠١ - ٦١٠هـ، ص ٤١٥، ابن القرشى الحنفى: الجواهر الضية فى طبقات الحنيفة، ج ٢، ص ٤٢٥.

(٩) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ٣٧٠.

توفى خوارزمشاه تكش سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، وقام بعده ولده علاء الدين محمد بن تكش خوارز مشاه (٥٩٦ - ٦١٧هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠مم)[١]، وكان فاضلا، عالما بالفقه والأصول، مكرما للعلماء يحب مناظرتهم، ويتبرك بأهل الدين[٢]، وليس أدل على ذلك من أنه أقطع العالم والمفسر الجليل، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن العمر بن الحسين الرازى، إقطاعا يدر عليه كل سنة ألف دينار[٣]، وكان علاء الدين خوارز مشاه يأتى إليه، لمناظرته وبين أهله كلام فيما يرجع إلى المذهب والعقيدة[٥].

ومن العلماء الذين وجدوا رعاية خاصة من السلطان علاء الدين محمد خوارز مشاه، الشيخ الفاضل العالم شهاب الدين الخيوقى، ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، وكان نائب السلطان فى جميع مملكته، فكان إذا دخل مدينة كان المدرسون والقضاة والعلماء يحضرون دروسه، وكان شافعى المذهب متعصبا لأصحابه[٦]، وقد جمع إلى الفقه، اللغة والطب، وسائر العلوم والفصاحة[٧]، وكان إليه تدريس خمس مدارس بخوارزم[٨].

ومن الوزراء الذين كان لهم اهتمام بالعلم والعلماء، الوزير هلاء الملك العلوى، وزير السلطان علاء الدين محمد خوارزم مشاه وكان عالما فاضلا متقنا للعلوم والأدب، كما كان شاعرا من أصحاب اللسانين العربى والرسى، وكان قد تزوج بابنة اليخ فخر الدين الرازى[٩].

وممن وزر للسلطان علاء الدين محمد خوارز مشاه، الوزير نظام محمد بن صالح، وكان له اهتمام بالكتابة والأدب، ولم يكن له مثيل فى الوقت فى حسن خطه وفرط جدوده وكرمه[١٠].

---

(١) ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٢، ج٢، ج٤، ص ٢٣٤، فامبرى: تاريخ بخارى، ص ١٥٢.
(٢) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣/ ص ١٩٣.
(٣) ابن أبى أصيبعة: عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص ٣٦.
(٤) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٨، قسم ١، ص ٢٣٣.
(٥) الذهبى: نفسه، مج ١٨، قسم ١، ص ٢٣٤.
(٦) القرمانى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٩.
(٧) النسوى: (محمد بن أحمد النسوى)، ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، سيره السلطان جلال الدين منكبرتى، تحقيق د/ حافظ أحمد حمدى، دار الفكر العربى، ١٩٥٣م، ص ١٠٩.
(٨) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ١٠٩.
(٩) ابن أبى أصيبعة: عيون الأبناء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص ٣٩.
(١٠) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣١٠.

توفى السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه سنة ٦١٧هـ/ ١١٢٠م وخلفة ابنه جلال الدين منكبرتى[١].

وعلى الرغم من انشغال السلطان جلال الدين بالجهاد ضد المغول، إلا أن وزيره شرف الدين الملك فخر الدين على الجندى، كانت له أياد بيضاء، فى الاهتمام بالعلم، وقد انفق شرف الملك الكثير من الموال، كان متصفا برقه القلب وصفاء العقيدة لدرجة أنه حينما كان يقرأ القرآن الكريم كانت الدموع تنهمر على خدى[٢].

وممن حظى باهتمام السلطان من الأدباء والكتاب، محمد بن أحمد النسوى، ت ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م، فقربه وألحقه إلى خدمته، وأصبح كاتبه[٣].

ومن العلماء الذين برزوا، فى هذه الفترة، العالم يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على[٤]، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨مم، من أهل خوارزم، وكان أحد أفاضل العصر، ومن مصنفاته – كتاب: مفتاح العلوم[٥]، والعالم الفاضل محمد بن أحمد الخوارزمى الشافعى ت ٦٣٥هـ،/ ١١٤٠م، الذى صنف كتاب ملتقط المعالم فى التفسير، وهو مؤلف جليل القدر والشأن[٦].

هكذا بفضل رعاية واهتمام السلاطين والوزراء والحكام والحياة الفكرية فى إقليم خوارزم، زخرت مدن وقرى هذا الإقليم بالعلم ومؤلفاتهم، بكافة ألوانها ومذاهبها، وأصبح هذا الإقليم مركزا من مراكز الإشعاع الثقافى الذى بثه فى الإقليم المجاورة.

******

(١) لمزيد من التفاصيل راجع الأول، حاشية ٣، ص ٤٩.
(٢) خوادمير: دستور الوزراء، ص ٣١٢.
(٣) النسوى: سيرة جلال الدين، ص١٨٧.
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٦٤٧.
(٥) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ١٧٦٢.
(٦) الأدنة وى: (أحمد بن محمد الأدنة وى) من علماء القرن الحادى عشر، طبقات المفسرين، تحقيق د. سليمان بن صالح الخزى، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص ٢٢٩.

ثانيا: مراكز العلم فى إقليم خوارزم خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى

* * * * * * *

بعد أن تحدثنا عن اهتمام السلاطين والحكام ووزرائهم بالعلم والعلماء نستعرض المدن العلمية التى كانت المراكز الأساسية للحركة الفكرية خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

١ - الجرجانية (كركاج)

بضم الجيم، وسكون الراء، وفتح الجيم، بعد الألف نون مكسورة، وبعدها ياء مثناه من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة[١]،وهذا اسمها بلغة العرب، أما بلغة أهل خوارزم فاسمها (كركانج)[٢]، بضم الكاف، والراء بين الكافين، والنون بعد الألف وفى أخرها الجيم[٣] .

والجرجانية فى مقدمة مراكز العلم فى إقليم خوارزم، وكانت عاصمة خوارزم فى العصر الغزنوى، وكذا فى العصر السلجوقى، ثم أصبحت عاصمة خوارزم، وقصبتها العظمى فى عصر الدولة الخوارزمية[٤] .

وتقع على الجانب الجنوبى لنهر جيحون[٥]، أى الفارسى، أى الغربى لإقليم خوارزم[٦] . ومساحتها نحو تسعة أميال فى مثلها[٧]، من حيث الطول أربع وثمانون درجة ودقيقة واحدة والعرض اثنتان وأربعون درجة وسبع وخمسون دقيقة[٨] .

والجرجانية مدينتان، الكبرى بينها وبين الصغرى نحو ثلاثة فراسخ[٩]، وطولها

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٧٤ .
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص ١٣١، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٧٧ .
(٣) السمعانى: (أبى سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى)، ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م، الأنساب، ٦ مجلدات، تحقيق د/ محمد عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م، مج٤، ص ٦١٠ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص ١٣١، الحميرى: الروض المعطار، ص ١٦٢ .
(٥) أبوالفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٧ .
(٦) كى لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٨٩ .
(٧) الحميرى: الروض المعطار، ص ١٦٢ .
(٨) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥٥ .
(٩) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص ١٣١ .

أربع وثمانون درجة وخمس دقائق، والعرض اثنتان وأربعون درجة وخمس وأربعون دقيقة[١]، أما الكبرى فهى أربعة أبواب، محصنة بالخنادق، والأبواب الحديد والجسور ومليئة بالأسواق والجوامع[٢].

كان بلاط الجرجانية مزدهرا، منذ أن كان عاصمة خوارزم فى العصر الغزنوى، وخاصة عصر الأسرة المأمونية (٣٨٠ - ٤٠٨ هـ / ٩٩٠ - ١٠١٧ م)[٣]، وكان سبب ازدهار خوارزم العلمى، وجود أبى على ابن سينا ت ٤٢٨ هـ / ١٠٣٦ م، وأبى الريحان البيرونى[٤]، ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م، وغيره من علماء العصر فى الجرجانية[٥].

وكان لابن سينا هذا مؤلفاته العلمية التى ملأت بلاط الجرجانية، ومكتباتها، وكانت نواه للعصور اللاحقة، فى إقليم خزاروم، وغيره من الأقاليم والمدن المجاورة، حيث مارس الطب فى خوارزم[٦]، كما ألف فى المنطق "القصيدة المزدوجة"، ألفها لأبى الحسن بن سهل بن محمد السهلى، كما ألف له رسالة فى الكيمياء[٧].

أما البيرونى الخوارزمى، ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م، فإن مؤلفاته العلمية، ظلت نواة للعلوم العقلية لكل عالم فى هذه العلوم، فى إقليم خوارزم .

ومن ينسب إلى الجرجانية (كركانج)، أبو نصر المروزى محمد بن أحمد بن على بن حامد الكركانجى (٣٩٠ - ٤٨٤ هـ / ٩٩٩ - ١٠٩١ م)، سكن جرجانية خوارزم مدة، فنسب إليها، وكان عالما فى القراءات والأدب[٨]، وابنه عبد الرحمن ب محمد الكركانجى، وكان إمام فاضل فى القراءات وعلومها[٩]، وابن ابنه محمد بن عبد الرحمن الكركانجى، وكان شيخا صالحا[١٠].

(١) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥٥ .
(٢) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .
(٣) النظامى العروضى: جهاز مقاله، حواشى المقالة الرابعة، حاشية ١٩، ص ١٦٨ - ١٦٩ .
(٤) البيرونى: بكسر الباء الموحدة وسكون الياء، وضم الراء، بعدها الواو وفى أخرها النون، هذه النسبة إلى خارج خوارزم، فإن بها من يكون من خارج البلد، ولا يكون منها يقال له: فلان بيرونى هست، يقال بلغتهم انبيذك هست . السمعانى: الأنساب، مج١، ص ٤٥١ .
(٥) عباس إقبال: إيران بعد الإسلام، ص ١٨٣ .
(٦) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ج٣، ص ١١١ .
(٧) ابن أصيبعة: نفسه، ج٣، ص ٢٧ - ٢٨ .
(٨) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٣١ .
(٩) السمعانى: الأنساب، مج٤، ص ٦١٠ .
(١٠) السمعانى: نفسه، مج٤، ص ٦١٠ .

أ - درغان:

بفتح أوله وسكون ثانيه وغين معجمه فى أخره نون[١]، وهى ثانى أكبر المدن بعد الجرجانية[٢]، وتقع على شاطئ جيحون، وهى أول حدود خوارزم من تاحية أعلى جيحون[٣]، وهى مدينة على جرف عال وذلك على سن جبل بناحية البر منها رمال وبينها وبين جيحون ميلان[٤]، وكانت تقع على مسيرة يومين من أسفل الظاهرية[٥].

وفى وصف المقدسى[٦] لها يقول: "ولها جامع حسن ليس بالناحية مثله فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة".

وممن ينسب إليها: الإمام أبى إبراهيم إسماعيل بن الحسين، الدرغانى، كان عالما بالفقه وأصوله، على مذهب أصحاب الشافعى، وهو أستاذ محمد بن عباس بن أرسلان الخوارزمى، المفسر الفقيه، المتوفى ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م[٧].

وممن ينسب إليها أيضا: أبو بكر محمد بن أبى سعيد بن محمد الدرغانى، روى عن المظفر السمعانى ت ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م[٨]، صاحب كتاب الأنساب، وحينما زار ياقوت الحموى خوارزم، رأى درغان ويقول: حدثنا عن الدرغانى: أبو المظفر عبد الرحيم بن ابى سعد[٩] عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى[١٠].

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج ٤، ص ٢٩٧ .
(٢) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .
(٣) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٨١ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٤، ص ٢٩٧ .
(٥) بارتولد: تاريخ التركستان، ص ٢٤٨ . الطاهرية: ناحية على جيحون فى أعلاه بعد أمل وهى أول عمل خوارزم ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٦، ص ٢٤١، محمود شيث: قادة الفتح الإسلامى فى بلاد ما وراء النهض، ص ٤٤ .
(٦) أحسن التقاسيم، ص ٣٢٠ .
(٧) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٠٧: ١٠٨ .
(٨) هو عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعانى: محدث الشرق، وصاحب التصانيف المفيدة الممتعة: راجع السبكى: طبقات الشاقعية الكبرى، ج٧، ص ١٨٠ وما بعدها .
(٩) معجم البلدان، مج٢، ج٤، ص ٢٩٧ .
(١٠) هو عبد الرحيم بن أبى سعد بن عبد الكريم بن محمد بن منصور، راجع السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٨١ .

ب - خيوق (خيوه):

بفتح أوله وقد يكسر[١] وسكون ثانيه وفتح الواو أخره قاف[٢] وهى على فم المفازة وبها جامع عامر على الشط[٣]، وهى بلد حصين بينها وبين الجرجانية نحو خمسة عشر فرسخا وأهل خوارزم يقولون خيوة، وأهلها شافعية دون جميع بلاد خوارزم فإنهم حنفية[٤]، ومن علمائها وشيوخها، الذين ينسبون إليها بالخيوقى، شهاب الدين أبو سعد ابن عمران الخيوقى، وكان فقيها فاضلا مبرزا مفتيا على المذهب الشافعى رضى الله عنه وقد جمع إلى الفقه، اللغة والطب وسائر العلوم والفصاحة واللسان والتدبير الحسن، ونال عند السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه ت ٦١٧ هـ/ ١١٢٠ م، والسلطان جلال الدين منكبرتى ت ٦٢٨ هـ/ ١٢٣٠ م، من الرتبة مالم يبلغه أحد[٥]، حيث كان نائب السلطان فى جميع المملكة، وكان متعصبا لأصحاب المذهب الشافعى، وكان إذا دخل مدينة ذهب إليه الفقهاء وقرأوا عليه محفوظهم[٦].

ج - زمخشر:

بفتح أوله وثانية ثم خاء معجمه وفتح الشين، وراء مهملة[٧]، قرية كبيرة، من قرى خوارزم[٨]، حيث الطول أربع وثمانون درجة وثلاثون دقيقة، والعرض إحدى وأربعون وخمس وأربعون دقيقة[٩]، ويقول ابن القفطى[١٠]: "أنه سمع من احد التجار يقول: أن العمارة لما كثرت فيها وشملتها، صارت من جملة محالها"، وينسب إليها العالم الفاضل أبو القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشرى ت ٥٣٨ / ١١٤٣، كان

(١) الخاء: مكسورة عند القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٢٨، عند المقدسى " خيوه " بكسر الخاء، أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢٦٧ .
(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .
(٤) ياقوت الحموى: البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢٦٧ .
(٥) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ١٠٩ .
(٦) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٩ .
(٧) ياقوت الحموى: البلدان، مج٢، ج٤، ص ٤٨٠، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥٥ .
(٨) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩ .
(٩) القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥٥ .
(١٠) (جلال الدين أبى الحسن على بن يوسف القفطى)، ت ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م، أبناء الرواة على أبناء النحاة، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤ أجزاء، ط١، دار الفكر العربى، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م، ج٣، ص ٢٦٥ .

بالغا فى علم العربية وعلم البيان، وله تصانيف حسنة ليس لأحد مثلها فى فصاحة الألفاظ وبلاغة المعانى مع إيجاز اللفظ، حتى لو أن أحدا أراد أن ينقص عن كلامه، حرفا أو يزيد فيه بان الخلل، وذهب إلى مكة وجاور بها فسمى جار الله[١].

وحكى ابن أخت الزمخشرى، قال: ولد خالى بزمخشر يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة ٤٦٧ هـ/ ١٠٧٤م، وتوفى بجرجانة خوارزم، ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م[٢].

وللزمخشرى هذا مؤلفاته ومصنفاته التى أثرت الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم فى شتى المجالات العلمية.

د - ساوكان:

زمن مدن وقرى الجرجانية التى ينسب إليها بعض العلماء ساوكان[٣]: بفتح السين وسكون الواو بعد الألف وفتح الكاف، وفى أخرها النون[٤]، ولقد رآها ياقوت الحموى سنة ١٧ هـ / ١٢٢٠ م، عامرة أهله[٥]. وممن ينسب إليها أبوسعيد أحمد بن على بن أحمد بن أحمد الجلابى الساوكانى، وكان إماما فاضلا، شديد السيرة، متواضعا سكن خيوه[٦]، ويقول السمعانى: سمعت منه شيئا يسيرا بخيوة (خيوق) وكانت ولادته بقرية ساوكان فى شهر ربيع الأول سنة ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م[٧].

هـ - كردرانخاس[٨]:

وهى من قرية الجرجانية[٩]، وينسب إليها: محمد بن أحمد بن أبى بكر أبو عبد الله، الكردرانخاسى، من أهل خوارزم، وتفقه بالأقاليم، وبغيره، وسمع الحديث من

(١) القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٣٣ .
(٢) الأنبارى: (أبى البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنبارى)، ت ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م، نزهة الألباء فى طبقات الأدباء، تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م، ص ٣٣٨ .
(٣) ساوكان: الواو مفتوحة عند ياقوت: البلدان، مج٣، ج٥، ص ١٤ .
(٤) السمعانى: الأنساب، مج٣، ص ٢٢٩ .
(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص ١٤ .
(٦) السمعانى: الأنساب، مج٣، ص ٢٢٩ .
(٧) السمعانى: الأنساب، ص ٢٢٩ .
(٨) يسميها كردران خواش كل من الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥ .
(٩) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩ .

أبى بكر السمعانى، وسمع منه "صاحب الكافى" ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، محمود بن محمد بن عباس بن أرسلان. وقال فيه: الشيخ الفقيه الدين، الورع . وأقام بقريته كردرانخاسية، فكان هو العالم، والواعظ، والخطيب بها، وكان ثقة، صالحا، توفى فى شهر شوال سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦١ م[١].

و - سافردز[٢]:

بعد الألف فاء ثم راء ساكنه ثم دال مهملة مفتوحة وأخره زاى، قرية على جيحون قريبة من أمل الماء على طريقهم خوارزم.

نسب إليها بعض الرواة[٣]. منهم أبو بكر محمد بن داود بن عصام بن سلام السافردرى[٤].

ز - تمرتاش:

ومن قراها أيضا: تمرتاش: بضمتين وسكون الراء وتاء أخرى وألف وشين معجمه[٥]، قال بعض فضلائها:

حللنا تمرتاش يوم الخميس وبتنا هناك بدار الرئيس[٦]

وممن ينسب إليها أحمد بن أبى ثابت إسماعيل بن محمد بن أيدغمش التمرتاشى الخوارزمى الحنفى ت ٦٠١ هـ / ١٢٠٤ م، ومن مصنفاته فتاوى التمرتاشى، وفرائض التمرتاشى، وكتاب التراويح[٧].

٢ - نوزكاث (كاث):

بعد الألف ثاء مثلثة[٨]، ومعنى الكاث بلغة أهل خوارزم، الحائط فى الصحراء من

---

(١) السبكى: طبقات الشافعية، ج٧، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) سافردز: ذكرها السمعانى سافردر: الأنساب مج٣، ص ٢٢٢، ذكرها المقدسى: سدفر، أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩ .

(٣) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص ٩ .

(٤) السمعانى: الأنساب: مج٣، ص ٢٢٢، ولم يذكر تاريخ وفاته .

(٥) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج٢، ص ٤٥٥ .

(٦) ياقوت الحموى: نفسه، مج١، ج٢، ص ٤٥٥ .

(٧) إسماعيل باشا البغدادى: هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون)، مجلدان، دار الفكر، بيروت - لبنان، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، مج١، ص ٨٩ .

(٨) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ص ٧، ص ١١٢، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥٤ .

obeikandl.com

غير أن يحيط به شئ[١]، وكان الفرس يسمونها شهرستان على حسب قول المقدسى[٢]، الذى يصفها بكثرة العلماء والأدباء والقراء[٣]، أما ابن حوقل[٤] فيسميها كاث درخاش، وكان لها جامع وسط الأسواق[٥]، ودار خوارزمشاه عند المسجد[٦]، ولها قلعة، خربها النهر، وقد أتى عليها والجامع فلم يبق منها رسم ولا طلل[٧]، فابتنى الناس مدينة جديدة[٨]، إلى الشرق من الأولى على مسافة من جيحون تقيها عواقب طغيانه[٩] سماها ياقوت الحموى فى معجمه[١٠]: نوزكاث، بعد الواو زاى وأوله مضموم وأخره ثاء مثلثة، ونوز معناه بلغة الخوارزمية الجديدة وكأن معناه الحائط الجديد، فكانهم قالوا كاث الجديدة.

وتقع فى الجانب الشرقى من نهر جيحون[١١]، أى التركى من النهر[١٢].

وممن ينسب إليها من الأفاضل: محمد بن أحمد بن سعد بن موسى بن أحمد بن كعب بن زهير العقيلى الكاثى، ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م، تفقه على أبيه، وكان من مشاهيرها، وفضلائها وفقهائها، وتولى القضاء، والخطابة بكاث، حتى توفى بها وجلس ابنه سعيد بن محمد الكعبى، مكانه فى القضاء، والخطابة[١٣].

ومن ينسب إليها أيضا الفقيه محمد بن إبراهيم بن الحسين بن أحمد بن عبد الله، الكاثى، ولى قضاء كاث بعد سعيد بن محمد الكعبى، وتوفى فى محرم سنة ٤٩٨ هـ / ١١٠٤ م[١٤].

وممن ينسب إليها من رجال الحديث: مظهر بن سديد بن على بن أحمد بن عبد

---

(١) ياقوت الحموى: نفسه، مج٤، ج٧، ص ١١٢ .
(٢) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩٠ .
(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، بارتولد: تركستان، ص ٢٥٢ .
(٤) صورة الأرض: ص ٣٩٥ .
(٥) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، بارتولد: تركستان، ص ٢٥١ .
(٦) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٤٩٠ .
(٧) أبن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، لسترنج: نفسه، ص ٤٩٠، ٤٩١ .
(٨) وهى كاث الجديده، وبينها وبين القديمة خمسون فرسخا، وهى من أجمل مدن خوارزم، القلقشندى: صبح الأعشى، ج٤، ص ٤٥٤ .
(٩) الأصطخرى: المسالك والممالك، ص ١٦٨، ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥ .
(١٠) معجم البلدان: مج٤، ج٨، ص ٤٠٧ .
(١١) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩ .
(١٢) لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩٠ .
(١٣) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ٩٣: ٩٤ .
(١٤) السبكى: نفسه، ج ٤، ص ١١٤ .

الله، النوزكاثى، المقتول بيد المغول سنة ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، وكان حافظا لأسماء رجال الحديث عارفا به، وله كتب كثيرة فى الحديث[١] .

ولقد رآه ياقوت الحموى عندما زار خوارزم وأجاز له[٢].

ومن مدن وقرى كاث:

أ - مدينة كردر: وهى من أكبر مدن كاث وأحصنهم[٣]، أو مايتاخمها من نواحى الترك، لهم لسان ليس خوارزميا، ولا تركيا[٤].

ومن ينسب إليها من العلماء: عبد الغفور بن لقمان بن محمد، أبو المفاخر الكردرى، الملقب، تاج الدين ت ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦ م، وكان إمام الحنفية، وله التصانيف المفيدة فى الفقه والأصول، وتلقب شمس الأئمة، وكان على غاية من الزهد ومن تصانيفه، "كتاب شرح التجريد"، و"شرح الجامع الصغير" يذكر لكل باب أصلا، ثم خرج عليه المسائل[٥] .

ب - براتكين[٦] (براتقين): قرية كبيرة من قرى مدينة كردر لها سوق عامر الجامع فيه،[٧] وممن ينتسبون اليها فقيه المشرق شمس الأئمة أبو الوحدة محمد بن عبد الستار محمد العمادى الكردرى الحنفى البراتقينى، ولد سنة ٥٥٩هـ/ ١١٦٣م، وتوفى ببخارى سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م[٨]، ومن تصانيفه كتاب "تأسيس القواعد" وهو كتاب عصمة الأنبياء[٩]، وبرع فى المذهب وأصوله وتفقه عليه خلق كثير[١٠]، منهم ابن اخته محمد بن محمود بن محمود بن عبد الكريم الكردرى المعروف بخواهر زاده العلامه بدر الدين وكان من الأئمة، توفى سنة ٦٥١ هـ / ١٢٥٣ م، ودفن عند خاله[١١].

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج ٨، ص ٤٠٧ .
(٢) معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٤٠٧ .
(٣) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٧، ص ١٢٩ .
(٥) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٢، ص ٤٤٣ .
(٦) براتكين: أسماها قراتكين عند ابن حوقل: صورة الأرض، ص ٣٩٥، براتقين: عند الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٦١ .
(٧) المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩ .
(٨) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٣، ص ٢٦١ .
(٩) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج١، ص ٣٣٣ .
(١٠) الذهبى: المصدر السابق، ص ٢٦١ .
(١١) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص ٣٦٣، ٣٦٢ .

ثالثا: المعاهد العلمية

******

بعد أن عرضنا المدن العلمية التى كانت المراكز الأساسية للحركة الفكرية، فقد ظل إقليم خوارزم، وقصبته العظمى الجرجانية مركزا أساسيا من مراكز الحركة الفكرية، مما كان له الأثر فى قيام العديد من معاهد التعليم، التى خرجت العديد من العلماء المفسرين والمحدثين والفقهاء والأدباء، والشعراء، وغيرهم ممن كان لهم دورهم فى نشر جميع أنواع العلوم والمعرفة، وذلك عن طريق نتاجهم العلمى الضخم الذى تجلى فى العصرين السلجوقى والخوارزمى.

أ - الكتاتيب:

كانت الكتاتيب فى الإسلام مكانا يتعلم فيه الصبيان الكتابة والقراءة إلى جانب القرآن الكريم(١)، كما عنى معلمو البنات بتحفيظهن القرآن(٢)، ويقول ابن خلدون(٣) فى تعليم الصبيان "اعلم أن تعليم الولدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه فى جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب فى رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث، وصار القرآن أصل التعليم الذى يبنى عليه ما يحصل بعده من الملكات، وسبب ذلك أن تعليم الصغار أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، واختلف طرقهم فى تعليم القرآن للولدان باختلافهم فى اعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات".

ولقد عرف المسلمون نوعين من الكتاب. الأول: الكتاب الخاص بتعليم القراءة والكتابة، وكان يقوم غالبا فى منازل المعلمين، والثانى الكتاب لتعليم القرآن ومبادئ الدين الإسلامى(٤).

(١) أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام، ط٦، دار المعارف، بدون ص ٧٨.

(٢) شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى، العصر العباسى الثانى، ط٢، دار المعارف، ص١١٥، محمد عطية الأبراشى: التربية فى الإسلام، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وزارة الأوقاف، ١٣٨٠هـ / ١٩٦١ م، ص٤٦ .

(٣) ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون)، ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م، مقدمة ابن خلدون، تحقيق المستشرق الفرنسى، أ.م.كاترمير، ٣ مجلدات، طبعة باريس سنة ١٨٥٨ م، مكتبة لبنان - بيروت، مج ٣، ص ٢٦٠ .

(٤) عبد الله عبد الدايم: التربية فى التاريخ (من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين)، ط٦، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٧ م، ص ١٤٦ .

كان معلمو الكتاتيب الخاصة يسمون المؤدبون ويحظون بمكانة طيبة، بخلاف معلمى الكتاتيب الذين حرموا من تلك المنزلة(١).

ويوصى الغزالى(٢): بأنه على الصبى أن يتعلم فى الكتاب، القرآن وأحاديث الأخبار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس فى نفسه حب الصالحين، ويحفظ من الأشعار التى فيها ذكر العشق وأهله".

ومما يؤسف له أن يسعى البعض إلى مهاجمة مهمة الكتاب ونعتها بأنها على طريقة أدت إلى جمود التعليم وعدم تطوره بحجة أن الكتاتيب والعاملين فيها قد اقتصروا فى غايتهم على تحفيظ القرآن الكريم للنشء، وتلقينهم أصول الدين، والبعد عن المسائل الدنيوية مما أدى إلى عدم قدرة متعلمى الكتاب على الخوض فى العلوم العقلية التى تدور أحيانا حول المور الدينية(٣).

الواقع أن هذا الرأى مجانب للحقائق التاريخية الواضحة التى تؤكد شمولية التعليم فى الكتاب، وامتزاجه مع التربية، وأن الكتاتيب ما هى إلا المرحلة التمهيدية التى تهيئ الصبيان لمرحلة الدراسة التالية فى المساجد وحلقات الشيوخ التى كانت تقوم بدور بارز فى التعليم منذ صدور الإسلام(٤).

وفى الحقيقة أن الكتاب كان له دور بارز فى تعليم الصبيان القرآن وغيرة من العلوم الأخرى، حيث أنه المعهد العلمى الأول الذى هيأ للطالب أسباب العلم والمعرفة(٥).

وقد ظهر فى كتاب خوارزم بعض المعلمين (المؤدبين) الموهوبين الذين لمعوا فى المجتمع الإسلامى، من أشهرهم الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابورى، ثم

---

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجرى، مستقاه " من تاريخ بغداد " للخطيب البغدادى، ترجمة وتلخيص وتعليق د/ سامى الصقار، دار المريخ، الرياض، السعودية، ١٤٠١ هـ / ١٩٨٧ م، ص٥٢ .

(٢) (أبو حامد محمد الغزالى)، ت ٥٠٥ هـ / ١١١١ م، إحياء علوم الدين، ٥ مجلدات، مطبعة الأنوار المحمدية، القاهرة، بدون، ج٣، ص٧٨.

(٣) أحمد فؤاد الأهوانى: التربية فى الإسلام، ص ٧٣ - ٧٧، رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق خلال العصر البهويهى (٣٣٤ - ٤٤٧ هـ / ٩٤٥ - ١٠٥٥ م) جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، ص٢١٥ - ٢١٦.

(٤) رشاد معتوق: الحياة العلمية فى العراق ص ٢١٦، على بن محمد بن سعيد الزهرانى، الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، (٢١٢ - ٤٨٤ هـ / ٦٢٨ - ١٠٩١ م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة،السعودية ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص٢٢٥ .

(٥) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص ٢٥١ .

الخوارزمى، وكان مؤدب أهل خوارزم، وشاعرهم وفقيههم، هو شيخ أبى القاسم الزمخشرى المتوفى ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م[١].

وبذلك كانت الكتاتيب هى المعهد العلمى الأول لتحفيظ القرآن وتعليم مبادئ الدين الإسلامى وغيرة من العلوم الأخرى .

ب - المساجد:

يعتبر المسجد أهم المعاهد العلمية الإسلامية، منذ الفتح الإسلامى لإقليم خوارزم سنة ٩٣ هـ / ٧١١ م، ولذلك عنى الخلفاء والأمراء والقادة الفاتحون، ببناء المساجد، حيث كان الوليد بن عبد الملك ٨٦ - ٩٦ هـ/ ٧٠٣ - ٧١٣ م، شديد الكلف بالعمارات والأبنية، خاصة المساجد[٢]، وزادت عمارة البلاد فى العصر العباسى، وكذا فى عصر الدويلات المستقلة التى حكمت خوارزم[٣]، خاصة العصر السلجوقى، واستمر بناء المساجد فى العصر الخوارزمى[٤] وفى ذلك يقول السبكى[٥]: نقلا عن "تاريخ خوارزم" لمحمود بن محمد بن العباس بن أرسلان المتوفى سنة ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م، فقال: سمعت عددا من المشايخ يقولون كان بمنصورة "خوارزم" اثنا عشر ألف مسجد، فإن فيها أثنى عشر ألف سكة فى كل سكة مسجد .

وبذلك بلغت عمارة المساجد فى إقليم خوارزم فى العصرين السلجوقى والخوارزمى أقصى درجاتها.

وعمارة المساجد من أهم الأعمال التى ترضى الله سبحانه وتعالى[٦]، قال تعالى: ﴿ **مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾** ﴾[٧] .

---

(١) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٣، ص٩٥ .

(٢) ابن طباطبا: الفخرى فى الآداب السلطانية، ص١٢٧ .

(٣) لمزيد من التفاصيل: راجع الفصل التمهيدى، ص ١٤ - ٢٢ .

(٤) أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى أصوله فلسفته، مدارسة، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ص ٢١٢ .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٢٨٩ وما بعدها .

(٦) على عبد الحليم محمود: المسجد وأثره فى المجتمع الإسلامى، دار المعارف، القاهرة، ص ٢٦ .

(٧) سورة التوبة: الآية ١٧ - ١٨ .

وقد استعملت المساجد كمعاهد للتعليم[١]، وكان من يريد أن يكمل تعلمه بعد الكتاتيب عليه الذهاب إلى حلقات المساجد، وكان أشبه بمعاهد عليا، فلم تكن فقط دورا للعبادة، بل كانت أيضا دورا، بل جامعات للعلم والعلماء، إذ كان لكل عالم فى كل فرع من فروع العلم حلقة كبرى[٢]، وكان على العالم إذا تعددت الدروس فى هذه الفروع أن يقدم تفسير القرآن ثم الحديث ثم أصول الدين ثم أصول الفقه ثم المذهب ثم النحو وغيره من العلوم الأدبية[٣]، لكى تساعدهم على قراءة القرآن الكريم قراءة صحيحة، وكان بعض القراء والمحدثون يفتحون مجالس دروسهم بإنشاء الشعر ويختمونها به[٤].

واشتهر إقليم خوارزم بكثرة مساجده، وتدلن اكتب الرحالة والجغرافيون والمؤرخون على كثرة هذه المساجد، وأثرها فى الحياة الفكرية .

يذكر المقدسى[٥]: إن الجرجانية أربعة أبواب، وأن كل باب به جامع فى الأسواق وعلى طرف الأسواق .

ومن الفقهاء الذين كان لهم مجلس علم فى مساجد الجرجانية، عبد الغافر بن إسماعيل بن الغافر بن محمد بن عبد الغافر، الشافعى، الفارسى، ثم النيسابورى (٤٥١ - ٥٢٩ هـ / ١٠٥٩ - ١١٣٤ م)[٦]، وكان إماما فى الحديث والعربية، وقرأ القرآن الكريم، ورحل إلى إقليم خوارزم، وعقد له مجلس علم فى مساجده[٧]، ومن مصنفاته "كتاب مجمع الغرائب" فى غريب الحديث، وكتاب "السياق لتاريخ نيسابور"، وكتاب "المفهم" لشرح مسلم[٨] . وسمع منه فى خوارزم الفقيه، إسماعيل بن أحمد بن حسين البيهقى[٩] الخسروجردى الشافعى[١٠]، المتوفى ٥٠٧ هـ / ١١١٣ م، فحدث عنه وعن

(١) أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص ١٢١ .
(٢) شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى، العصر العباسى الثانى، ص ١١٧ .
(٣) ابن جماعة: (بدر الدين أبن أبى إسحاق إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة الكنانى)، ت ٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون، ص ٣٦، ٣٥ .
(٤) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٥١ .
(٥) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .
(٦) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج ٧، ص١٧١ .
(٧) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٣، ص ٢٢٥ .
(٨) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٤٣ .
(٩) البيهقى: بفتح الباء المنقوطة " بواحدة "وسكون الياء، وبعدها الهاء وفى أخرها القاف، هذه النسبة إلى بيهق، وهى قرية مجتمعة بنواحى نيسابور على عشرين فرسخا . السمعانى: الأنساب، مج١، ص ٤٦١ .
(١٠) الخسروجردى: بضم أوله، وجرد بالجيم المكسورة والراء الساكنة والدال، وجيمه معربة عن كاف، ومعناه عمل خسرو لأن كردى بمعنى عمل، مدينة كانت قصبة بيهق من أعمال نيسابور، أما الآن فقصبة بيهق سابزوار، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص٢٣٤ .

غيره، فى مساجد خوارزم[١]، وعقدت له مجالس العلم، وولى الخطابة، والتدريس للشافعية[٢]، مدة عشرين سنة، وكان يحضر مجلسه، محمود بن محمد بن العباسى بن أرسلان، المتوفى ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢م[٣]، فصار فقيها محدثا مؤرخا[٤].

ومن المفسرين والمحدثين والفقهاء، ممن كان لهم مجلس علم فى مساجد الجرجانية، الزمخشرى الحنفى المعتزلى (٥٣٨ هـ/ ١١٤٣ م)، صاحب الكشاف فى تفسير القرآن[٥]، وكان طلاب العلم، يأتون إليه، من كل مكان[٦]، وتتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم، الذين ساروا، من أنبغ علماء العصر، وأحب تلاميذه، ضياء الدين المكى، الذى شرح "الأنموذج فى النحو"، وسماه "كفاية النحو فى علم الإعراب"، وكتبه حوالى ٥٥٠ هـ / ١١٥٥ م[٧]، أما تلميذه محمد بن أبى القاسم بن بايجوك البقالى، المتوفى ٥٦٢ هـ/ ١١٦٦م، فقد سمع منه الحديث وأخذ عنه العربية والإعراب، حتى صار إماما فى الأدب واللغة والحديث[٨]، وخلفه فى حلقته فى المسجد، وصنف تفسير القرآن، وشرح الأسماء الحسنى[٩] وصنف أذكار الصلاة، الهداية فى المعان والبيان، التنبيه على إعجاز القرآن وغير ذلك[١٠].

ومن الوعاظ فى مساجد خوارزم، الموفق بن أحمد بن محمد المكى، خطيب خوارزم، ت ٥٦٨ هـ/ ١١٧٢ م، تتلمذ على الزمخشرى فى اللغة العربية، ومن تلاميذ الموفق ناصر بن عبد السيد المتوفى ٦١٠ هـ/ ١٢١٣م[١١].

ولم تكن مدينة الجرجانية بمساجدها وعلمائها، إلا صورة واضحة لكل مدن هذا الإقليم[١٢].

---

(١) ابن الجوزى: المنتظم، ج ١٧، ص ١٣٤ .
(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٤٤ .
(٣) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٨٩ .
(٤) لبسبكى: المصدر السابق، ج٧، ص ٢٨٩ .
(٥) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٦٨ .
(٦) ابن القفطى: أنباة الرواة، ج٣، ص ٢٦٦ .
(٧) كارل بروكلمان: تاريخ الأدب العربى، ج٥، ص ٢٣٨ .
(٨) السيوطى: (جلال الدين عبد الرحمن السيوطى)، ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م، بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة، جزءان، تحقيق د/ أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج١، ص ٢١٥ .
(٩) الأدنة وى: طبقات المفسرين، ص ١٩٥ .
(١٠) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج٤، ص ٣٩٣ .
(١١) القرشى الحنفى: نفسه، ج٣، ص ٥٢٣ .
(١٢) صبرى سليم: الأتراك الخوارزميين، ص ١٧ .

ويذكر المقدسى[١]: أن مدينة درغان ثانى أكبر المدن بعد الجرجانية، لها جامع حسن ليس بالناحية مثله، فيه جواهر رفيعة وتزاويق حسنة، ومن فقهاء درغان، الفقيه أبى إبراهيم إسماعيل بن الحسين الدرغانى، وكان عالما بالفقه وأصوله على المذهب الشافعى، وكانت له حلقة فى مسجد درغان، وتتلمذ على يديه ابن عباس بن أبى آرسلان الخوارزمى، المفسر والفقيه المتوفى ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م[٢].

ومن فقهاء أصحاب مذهب أبى حنيفة، عبد الخالق بن عبد الحميد بن عبد الله، الوبرى[٣] الخوارزمى الضرير، الفقيه، وكان من رؤساء أبى حنيفة وأئمتهم، عالما مناظرا، متكلما أصوليا فصيحا، حافظا للغة والأشعار، أستاذا يشار إليه فى الفنون الأدبية، وإليه كانت الفتوى والتدريس بمساجد خوارزم[٤]، وتفقه على يديه على بن عراق الصنارى، ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م، وبعد أن صار فقيها، رحل إلى قرية مذانة، من قرى خوارزم، وتوطنها، وكان يعظ فى المسجد الجامع بها غداة الجمعة، كما كان شاعرا، حافظا للغات الغربية[٥]، ومن مصنفاته "شماريخ الدرر فى التفسير"[٦].

لقد اهتم سلاطين وحكام ووزراء خوارزم ببناء المساجد، لتدريس العلوم الدينية والأدبية، فقد كان معظم حكام خوارزم، فقهاء على مذهب أبى حنيفة، كما كان وزراءهم، المساجد الوزير نظام الملك الطوسى، (٤٥٥ - ٤٨٥هـ/ ١٠٦٣ - ١٠٩٢م)، وأوقف عليها الوقوف، وشرط أنها وقف على أصحاب الشافعى أصلا وفروعا[٧] . كما ابتنى أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمى المستوفى[٨]، ت ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م، المساجد لأصحاب مذهب أبى حنيفة[٩] .

---

(١) أحسن التقاسيم، ص ٢٣٠ .

(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٦، ص ١٠٧،١٠٨ .

(٣) الوبرى: بفتح الواو والباء الموحدة وآخرها راء، نسبة إلى الوبر والصوف . السمعانى: الأنساب، مج٥، ص ٤٧٦، القرشى الحنفى، الجواهر المضية، ج٤، ص ٣٣٩ .

(٤) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج٢، ص ٣٧٠ .

(٥) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٢، ص ١٨٥ .

(٦) إسماعيل باشا البغدادى: (إسماعيل بن محمد أمين بن ميرسليم البابانى أصلا والبغدادى مولدا ومسكنا)، إيضاح المكنون، عنى بتصحيحه محمد شرف الدين بالنفايا، ورفعت بيلكة الكليسى، مجلدان، دار الفكر، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢ م . بيروت - لبنان، جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناشر، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م، مج٢، ص ٥٣ .

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ج١٦، ص ٣٠٤، ابن عماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٢، ج٣، ص ٣٧٤ .

(٨) لمزيد من التفاصيل عن وظيفة المستوفى راجع: نفس الفصل، حاشية " ١٤ " ص ٥٤.

(٩) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤٦٦ .

وفى عصر تكش بن إيل أرسلان بن آتسز بن محمد بن نوشتكين (٥٨٩-٥٩٦هـ/ ١١٩٣-١١٩٩م)، ابتنى وزيره نظام الملك سعد الدين بن مسعود بن على[١] ت ٤٩٦هـ/ ١١٩٩م، مسجدا عظيما بخوارزم، لأصحاب المذهب الشافعى[٢]، وكان نظام الملك مسعود بن على، أحد المتعصبين للشافعية[٣].

وكما اهتم السلاطين والوزراء والحكام ببناء المساجد، عنى العلماء أيضا ببناء المساجد، كمراكز علمية للعلوم المختلفة، ومعاهد يجتمع فيها الناس والطلاب لتلقى العلم، ومن علماء خوارزم الذين كان لهم اسهامات فى بناء المساجد، العالم، الفقيه شهاب الدين الخيوقى، الذى بنى مسجدا لأصحاب المذهب الشافعى[٤]، حيث كان فقيها مفتيا فى مذهب الشافعى رضى الله عنه[٥]، متعصبا لأصحابه، وكان العلماء والقضاة يحضرون درسة جنبا إلى جنب مع طلبة العلم[٦].

هذه الكثرة من المساجد تدلنا على أن التعليم فى كل الفروع والمذاهب، كانت تدرس فى هذا الإقليم، مما كان له أكبر الأثر فى تطور الحياة الفكرية، وظهور نخبة من علماء التفسير والفقه والحديث واللغة والنحو والأدب والشعر والنثر، ظهر نتاجهم العلمى فى العصرين السلجوقى والخوارزمى[٧] .

كما كان لهذه المساجد أثرها على الحياة الدينية فى أهل إقليم خوارزم وعلمائه، ويشير ياقوت فى هذا الحموى إلى هذه الناحية الدينية بقولة[٨]: "وكان المؤذن يقوم فى سحرة من الليل يقارب نصفه، فلا يزال يزعق إلى الفجر قامت" .

ويصور ابن بطوطة هذه الناحية بقوله[٩]: ولهم عادة جميلة فى الصلاة لم أرها بغيرهم، وهى أن المؤذنين بمساجده يطوف كل واحد منهم على دور جيران مسجده معلما

(١) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٠٩ .
(٢) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص ٢٩ .
(٣) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٢٩٦ .
(٤) النسوى: سيرة جلال الدين منكبرتى، ص ١١٠ .
(٥) النسوى: نفسه، ص ١٠٩ .
(٦) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٢٩ .
(٧) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشرى، ص ١٨ .
(٨) معجم البلدان، مج٢، ج٣، ص ٢٥٤ .
(٩) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتى، المعروف بابن بطوطة، الملقب شمس الدين، (٧٠٤ - ٧٧٩ هـ / ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م)، رحلة ابن بطوطة، دار صادر - بيروت، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

بحضور الصلاة، فمن لم يحضر الصلاة مع الجماعة ضربه الإمام بمحضر الجماعة، وفى كل مسجد درة معلقة برسم ذلك، ويغرم خمسة دنانير تنفق فى مصالح المسجد، أو تطعم للفقراء والمساكين، ويذكرون أن هذه العادة مستمرة على قديم الزمن .

وفى وصف المقدسى لعلماء إقليم خوارزم وأهله يقول[١]: "أهل فهم وعلم وفقه وأدب وكل إمام فى الفقه والأدب والقرآن لقيته إلا وله تلميذ خوارزمى تقدم زوجا" .

ويقول ياقوت الحموى[٢]: وما أظن أنه كان فى الدنيا لإقليم خوارزم نظير فى ملازمة أسباب الشرائع والدين .

وبذلك كان المسجد المعلم الرئيسى لأهل خوارزم، مما أدى إلى ظهور علماء أجلاء، أثروا الحياة الفكرية بكم هائل، ضخم من النتاج العلمى والأدبى.

ج - المدارس:

كان الناس يتلقون العلم فى المسجد والبيت والسفر وغيره من، تلك المعاهد، ولم يطلع القرن الخامس الهجرى الحادى عشر الميلادى، حتى انتشرت المدارس الأهلية فى عواصم الأقاليم الشرقية[٣]، ومنها إقليم خوارزم .

وكانت هذه المدارس لتدريس علوم الدين على مذهب واحد أو على المذاهب الأربعة[٤]، وذلك أن المسجد لم يكن يحسن تخصيصه للتدريس بما يتبعه من مناظرة، وجدل وقد يخرج بأصحابه أحيانا عن الأدب الذى يجب مراعاته للمسجد[٥]، على أن المسجد كان المكان المفضل للتدريس حتى بعد إنشاء المدارس[٦].

وفى العصر السلجوقى، اهتم السلاطين والوزراء بإنشاء المدارس، خاصة الوزير "نظام الملك الطوسى" (٤٥٥ - ٤٨٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٢ م)[٧]، الذى بنى المدارس

---

(١) أحسن التقاسيم، ص ٢٢٧ .
(٢) معجم البلدان، مج٢، ص ٢٥٥ .
(٣) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٦٤ .
(٤) أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص١٢١ .
(٥) آدم متز: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع (عصر النهضة فى الإسلام)، تحقيق د/ محمد عبد الهادى أوريدة، أعد فهارسه رفعت البدراوى، مجلدان، ط٤، مكتبة الخانجى، القاهرة، دار الكتاب العربى، بيروت، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م، مج١، ص ٣٣٦ .
(٦) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٦٨ .
(٧) الذهبى: دول الإسلام، ج١، ص ٤١٧ .

النظامية[١]، هذه المدارس التى أنشأها وبثها فى أمهات المدن وحملت اسمه، وكلما وجد فى بلد أو إقليم من تميز وتبحر فى العلم بنى له مدرسة ووقف عليها وقفا وجعل فيها دار كتب[٢]، ولما كان نظام الملك شافعى المذهب[٣]، فقد سلم منابر التدريس فى المدارس النظامية إلى علماء الشافعية[٤]، ولم يكن الإقبال على تلك المدارس قاصرا على الطب بل امتد إلى العلماء[٥]. ولم يكن يسمح لأحد من طلبة المدارس النظامية بالانتظام بها مالم يكن له نصيب وافر من مختلف العلوم والفنون[٦]، فقد كان التدريس بها يشمل مختلف العلوم النقلية، كالقرآن، والتفسير والحديث والفقه وأصوله على المذهب الشافعى، كذلك علوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة[٧] وغيرهما، كما عنيت المدارس النظامية بالعلوم العقلية، كالرياضيات والطب والصيدلة[٨].

هذه المدارس النظامية، أصبحت نموذجا يقتديه مؤسسوا المعاهد العلمية، ومن تلك المدارس التى اتخذت من النظامية حافزا لها وشيدت على غرارها[٩] "المدرسة النظامية" بخوارزم التى أسسها الوزير نظام الملك مسعود بن على ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م، وزير تكش خوارزمشاه ت ٥٩٦ هـ / ١١٩٩ م، وكان نظام الملك مسعود بن على أحد المتعصبين للشافعية[١٠]، كما كان متعصبا لبناء المدارس النظامية الشافعية، وقتل سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، وحزن عليها السلطان تكش، واستوزر ولده وهو صبى[١١]، ولقب الوزير نظام الملك صدر الدين على بن سعد الدين مسعود، واقتدى بصفات والده الحميدة، ولم يقصر فى رعاية أهل العلم والفضيلة[١٢] .

---

(١) الحسينى: زبدة التواريخ، ص ١٤٢، Bernard : The Arabs in history , P . 149

(٢) البندارى: آل سلجوق، ص ٥٩، نظام الملك: سفر نامة، المقدمة، ص ٥ .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٧، ج٢، ص ١٥١ .

(٤) محبوبة: نظام الملك، ص ٣٥٤ .

(٥) عبد المجيد أبو الفتوح بدوى: التاريخ السياسى والفكرى للمذهب السنى فى المشرق الإسلامى من القرن الخامس الهجرى حتى سقوط بغداد، ط٢، دار الوفاء، ١٤٠٨ - ١٩٨٨ م، ص ١٨٦ .

(٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢٥٣ .

(٧) ابن الجوزى: المنتظم، ١٠ أجزاء، طبعة دار صار - بيروت، ج٩، ص ٦٦، مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص ٢٧٦ .

(٨) يحى الخشاب: نظام الملك والمدارس النظامية، ص ٥٦٨ .

(٩) محبوبة: نظام الملك، ص ٤٠٠ .

(١٠) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٧، ص ٢٩٦، ٢٩٧، محبوبة: نظام الملك ص ٤٠٣ .

(١١) السبكى: نفسه، ج٧، ص ٢٩٧ .

(١٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣١٠ .

كان سلاطين وحكام خوارزم (خوارزمشاه) متعصبين للمذهب الحنفى، وبناء المدارس لأصحاب مذهب أبى حنيفة، على غرار المدارس النظامية، التى بنيت لأصحاب المذهب الشافعى .

ولذلك ابتنى السلطان تكش خوارزمشاه (٥٨٩ - ٥٩٦هـ/ ١١٩٣ - ١١٩٩م) مدرسة عظيمة فى خوارزم، لأصحاب مذهب أبى حنيفة، وكان يعرف الفقه وأصوله على هذا المذهب، وعندما توفى دفن بتربة بناها فى هذه المدرسة[١].

من العلماء الذين قاموا بالتدريس فى مدارس ومساجد خوارزم، الشيخ الإمام أبو محمد ظهير الدين الحنفى، ت ٦٠٠ هـ/ ١٢٠٣م، وكان يدرس العلم، لأصحاب مذهب أبى حنيفة، كما كان يقوم بالتدريس لأصحاب الشافعى[٢]، العالم والمفسر والأديب، فخر الدين الرازى، ت ٦٠٦ هـ/ ١٢٠٩م، وألف كتابا "حدائق الأنوار فى حدائق الأسرار[٣]" ، للسلطان تكش خوارز مشاه[٤] .

وكان فخر الدين الرازى، مقربا من السلطان علاء الدين محمد خوارز مشاه (٥٩٦ - ٦١٧ هـ / ١١٩٩ - ١٢٢٠ م)[٥] وبنى له السلطان مدرسة بخوارزم، وكان يدرس الفقه والأدب والشعر، ويحضر درسه الأفاضل، والعلماء والأدباء[٦].

وعلى الرغم من اهتمام السلاطين والحكام والوزراء ببناء المدارس، فقد أولى العلماء أيضا اهتمامهم بإنشاء المدارس لنشر مذاهبهم وعلمهم، فأنشأ هؤلاء العلماء، مدارس يدرس فيها العلم لخدمة مذاهبهم، فظهرت المدارس الشافعية، وكذا الحنفية .

وأول من ابتنى من العلماء مدرسة للشافعية، القاضى محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الشافعى[٧]، ت ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م، وكان يدرس فيها الحديث والفقه[٨] والشعر وغيره، وروى عنه أهل خوارزم[٩] .

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، مج٧، ج١٣، ص ٢٩ .
(٢) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص١٢٢١ .
(٣) الذهبى: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٨، قسم ١، ص ٢٣٢ .
(٤) حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٢، ص ٦٣٣ .
(٥) ابن ابى أصيبعة: عيون الأنباء فى طبقات الأطباء، ج٣، ص٣٨ .
(٦) الذهبى: تاريخ الإسلام، مج١٨، قسم ١، ص ٢٣٨ .
(٧) الأدنة دى: طبقات المفسرين، ص ١٣٠ .
(٨) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ص ١٧٥ .
(٩) الذهبى: تهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٤١٢ .

ولقد انتشر المذهب الشافعى فى إقليم خـوارزم، خاصة مدينة خيوق، مما أدى إلى إنشاء المدارس للشـافعيـة، كما أبتنى العـالم الفقيـه شهاب الدين الخـيوقى ت ١٢٢٠، ٦١٧م، مدرسة للشـافعية، وكان يقوم بالتـدريس فى خمس مدارس للشافعـية بخوارزم عامة، وكان لا يبطل الدرس(١).

كانت هذه المدارس الشافعـية (النظامية)، معاهد للبـحث العلمى والنظرى ومركزا لتتبـعات الباحثـين فى مختلف الثقـافات الوافدة والأصلية وظهرت ثمـارها فى المؤلفات العلمية والدواوين الشعرية باللغتين الفارسية والعربية(٢).

وكمـا كان هناك مـدارس للشافـعيـة، كان هناك مـدارس للحنفيـة، تدرس العلم والأدب على المذهب الحنفى، وأول من أدخل مذهب المعتزلة، لأصـحاب أبى حنيفة فى خوارزم، مـحمود بن جـرير الضبى، ت ٥٠٧هـ / ١١١٣م، وأقـام فى إقليم خوارزم، ينشر هذا المذهب فى مدارسه، فاجتـمع عليه الخلق، وتمذهبوا بمذهبه، ومنهم أبو القاسم الزمخشرى ت ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م(٣)، وقد كون الزمـخرشى مدرسة علـمية ينشر فـيها علمه، ويبث تعليمه ومذهبه(٤)، وتتلمذ له جماعة من الأصحاب والتلاميذ فى كل علم من العلوم التى كان ينشرها فى مـدرسته. ومن أشهر تلاميذه فـى علم العربية والأعراب والحديث، النحوى محمد بن أبى القاسم بن بايجوك الخوارزمى، ت ٥٦٢هـ/ ١١٦٦م، وجلس بعده مكانه فى مدرسته(٥).

وممن كان لهم الفـتوى والتدريس على المذهب الحنفى، فى مدارس خـوارزم، عبد الخالق بن عـبد الحمـيد بن عبـد الله الخوارزمى، وكان يدرس الفـقه واللغة، والشـعر، والأدب، وعلم الكلام، وكان أستاذا فى الفنون الأدبية(٦)، ومن أشهر تلاميذه، على بن عراق الصنارى، ت ٥٣٩ هـ / ١١٤٤ م(٧).

وكان من الطبيعى أن تؤدى هذه المدارس دورها كمـعهد من معاهد العلم فى إقليم خوارزم، هذا المعهـد الذى ساهم فى انتشار سوق العلم فى خوارزم، فـأقبل عليه طلاب

(١) النسوى: سيرة جلال الدين، ص ١٠٩ .
(٢) محبوبة: نظام الملك، ص ٤٠٠ .
(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٨٧ .
(٤) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشرى، ص ٤٦ .
(٥) السيوطى: بغية الوعاة فى طبقات اللغوين والنحاة، ج١، ص ٢١٥ .
(٦) القرشى الحنفى: الجواهر المضية، ج٢، ص ٣٧٠ .
(٧) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص ١٨٥ .

العلم من كل صوب، وظلت المدارس تقوم بدورها العلمى فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، وتخرج منها أشهر الأئمة والعلماء والأدباء والشعراء، فكان لكل مدرس تلميذ، يصبح أستاذا، وهكذا .

د - دور الكتب (المكتبات):

اتخذت المساجد مستودعات الكتب، فكانت خزائنها غنية بالكتب لا سيما الكتب الدينية التى كان الناس يهبونها لها أو يقفونها على القراءة[١]، وفى القرن الخامس الهجرى، قامت فى الدول الإسلامية معاهد علمية واضحة المعالم، هى المدارس، ساهمت على الدوام مع المساجد فى تطوير ثقافة الشعوب[٢].

وانتشرت خزائن الكتب العامة فى المعاهد العلمية (المدارس - المساجد) وانتشر إلى جانبها خزائن الكتب الخاصة بالخلفاء العباسين فى قصورهم[٣]، مثل خزانة كتب نفسية، للخليفة القائم بأمر الله العباسى (٤٢٢ - ٤٦٧هـ/ ١٠٣٠ - ١٠٧٤م)[٤] ومكتبة الوزير عميد الملك الكندرى، ت ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م[٥]، ومن هذه المكتبات أيضا مكتبة الخليفة الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢ هـ/ ١١٧٩ - ١٢٢٥م)[٦] .

ففى عصر السلاحقة زاد الاهتمام بالحركة العلمية بشكل عام، وبدور الكتب بشكل خاص، فقد حظيت باهتمام المسئولين عن الإدارة فى الدولة السلجوقية حتى شاعت وانتشرت دور الكتب وأصبح من النادر أن تخلو مدرسة أو مسجد أو مستشفى أو غير ذلك من معاهد العلم دون أن تجد مكتبة عامرة ملحقة بها[٧].

فقد اهتم "نظام الملك" بالمدارس النظامية، ووقف عليها الوقف، ثم أنشأ بكل مدرسة دار كتب[٨]، وكان يختار بنفسه من يقوم على خزانة الكتب ويدقق فى اختياره، ويجب أن يكون عالما عارفا سنى المذهب شافعى أصلا وفروعا، له معرفة جيدة بالآداب والعلوم، حسن الخط كتب الكثير من الكتب الأدبية[٩]، وكان الخط النسخ من أشهر

(١) عبد النعيم حسنين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٩٤: ١٩٥ .
(٢) يوسف العش: دور الكتب العلمية فى العراق والمشرق، ص ٤٦٢ .
(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص ٢٦٢ .
(٤) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، مج٨، ص ٤٠٦: ٤٠٧ .
(٥) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص ٤٦٢ .
(٦) السيوطى: تاريخ الخلفاء، ص ٥٤٢ .
(٧) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق، ص ١٩٢ .
(٨) البندارى: تاريخ آل سلجوق، ص ٥٩ .
(٩) محمد ماهر حمادة: المكتبات فى الإسلام، ص ١٥٣ .

الخطوط المستخدمة لنسخ الكتب العلمية والدينية والتاريخية والأدبية[١]، وكان نظام الملك يغدق الأموال والهدايا على خزائن الكتب، كما كان يشترى الكتب بأوفر الأثمان[٢]، وكانت دور الكتب مزودة بالأقلام والحبر والورق، ليتمكن الكتاب من نسخ ما يريدون من الكتب التى تشمل الأدب وسائر العلوم[٣] .

ومن المكتبات العامة مكتبة خوارزم التى كانت أشهر المكتبات فى العصر السلجوقى، ثم أصبحت أشهر مكتبة فى بلاد فارس، عصر الدولة الخوازرمية[٤] .

ومن المكتبات الخاصة التى أنشأها العلماء والأدباء لاستعمالهم الخاص، وقد كانت كبيرة جدا ومنتشرة، حيث كان من الصعب أن تجد كاتبا أو عالما أو أديبا دون أن يكون له مكتبة يرجع إليها فى دراسته وإطلاعه[٥]، مثل مكتبة أبو عمرو النسوى الشافعى ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، بمدرسته فى خوارزم، وأوقف عليها مؤلفاته، فى التفسير والحديث والفقه[٦] .

ومن أشهر دور الكتب فى العصرين السلجوقى والخوارزمى، دار الكتب التى بناها شهاب الدين الخيوقى ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، فى جامع الشافعية بخوارزم[٧]، ويصف النسوى[٨] دار الكتب التى بناها شهاب الدين فيقول "دار كتب لم ير قبلها ولا بعدها مثلها" .

هكذا قامت دور الكتب (المكتبات) بدورها كمعهد من معاهد العلم فى إقليم خوارزم، وساعدت على تطور الحياة الفكرية فيه .

هـ - دور العلماء (بيوت العلماء):

لقد قامت دور العلماء بدور كبير فى نشر العلم، وتوسيع النشاط الفكرى فى إقليم

---

(١) الدمشقى: مصطفى السباعى الدمشقى، اليقين فى معرفة أنواع الخطوط وذكر بعض الخطاطين من الترك والفرس والعرب، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٢٨٥ ميكرو فيلم ٨٤٣١، ورقة ٥ .
(٢) السبكى: طبقات الشافعية الكبرى، ج٤، ترجمة ٣١٩، ٣٨٣ .
(٣) يوسف العش: دور الكتب العامة وشبه العامة، ص ١٧٤ .
(٤) الجبورى: الكتاب فى الحضارة الإسلامية، ص ٣٠٨ .
(٥) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٥٩ .
(٦) الأدنة وى: طبقات المفسرين، ص ١٢٩، ١٣٠ .
(٧) النسوى: سيرة جلال الدين مكحبرتى، ص ١١٠ .
(٨) النسوى: نفسه، ص ١١٠ .

خوارزم، والعلمـاء هما يتمثلون بقـول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾[١] .

وعلى هذه الآية الكريمـة، اضطلع علماء المسلمين بمهـمة التعليـم الجليلة على مر العصور، فكان من جملة الآداب التى يحرص عليـها العلماء ما ذكره الغزالى[٢] " اعلم أن الانسـان فى علمه أربعـة أحوال، حـال طلب واكتـساب، وحـال تحصـيل يغنى عن السؤال، وحال إستـبصار وهو التفكير فى المحصل والتمتع به، وحـال تبصر وهو أشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلم فهو الذى يدعى عظيما فى ملكوت السموات"[٣] .

ومن ذلك يتضح أنه على العالم المعلم إفادة المتعلم بالعلوم بخوارزم، ونزولهم دور العلماء وإقـامتـهم فيهـا مما كان له أثر كـبير فـى عملية التـعليم. ومن هذه الدور، دار البلالى، بكسر الباء الموحدة واللام ألف المخففة وفى آخرها اللام المكسورة بياء، نسبة إلى بلال مؤذن رسول الله ﷺ[٤]، يقول السـمعانـى المتوفى ٥٦٢ هـ / ١١٦٦ م[٥] "كنت بخوارزم ونزلت دار أبى يعقوب بن صالح البلالى وكان كريما وسخيا ذا مروءة مائلا إلى الخيـر، أقمت فى داره أربعة عـشر يوما، وسمع منى الحـديث وسمع ولده أبو مسـعود أحمد بن يوسف البلالى".

ومما يدل على أن بيوت العلمـاء والتعلم بها كـان لها أكبـر الأثر فى تطور النشاط العلمى والفكرى فى خوارزم هو أن هذا البـيت أخرج لنا العلامة القـاضى أبو صالح بن يوسف بن صالح البلالى، قاضى خوارزم، الذى تفقه على أبيه فى داره، وعلى القاضى محمد بن الحسين الأرسابندى[٦]، وولى القضاء بخوارزم، وكان من رجال الدنيا جلادة وشهامة، وكانت ولادته فى حدود سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م[٧] .

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٥٩ .

(٢) أحياء علوم الدين، ج١، ص ٦٩ .

(٣) ولقد حدد الغـزالى وظائف المعلم وأدلة فى ثمان وظائف لمزيد من التفاصيل راجع الغـزالى: أحياء علوم الدين، ج١، ص ٦٩ - ٧٢ .

(٤) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة ج٤، باب الكنى، ص ١٥٨ .

(٥) السمعانى: الأنساب، مج١، ص ٣٣٦ .

(٦) هو محمد بن الحسين بن محمد الأرسـابندى، أبو بكر، القاضى، المروزى، المعروف بفخر القضاه وكان إمامـا فاضـلا، مناظرا انتهت إلـيه رياسة أصـحاب أبى حنفـية، وحـدث . القرشى الحنفـى، الجواهر المضيئة، ج٣، ص ١٤٥، ١٤٦ .

(٧) السمعانى: الأنساب، ج١، ص ٤٤٥، ٣٣٦ .

كما كان نزول العلماء إلى خوارزم وإقامة بيوت لهم يتم بها المناقشات والمجادلات والمناظرات أثره فى عملية العلم والفكر، فكثرت بيوت العلماء فى خوارزم، ومن هذه البيوت، بيت الشهرستانى[١] المتكلم الفيلسوف صاحب التصانيف، حيث نزل خوارزم وأتخذ بها دارا وسكنها مده، وكانت داره للمجادلات والمناظرات، وكان يبالغ فى نصرة مذاهب الفلاسفة، وكانت بينه وبين أبى محمد محمود بن عباس بن أرسلان ت ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م، وهو من بيت علم أيضا - محاورات، ومفاوضات، وحضر له عدة مجالس من وعظه[٢] حتى خرج من خوارزم سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م[٣] .

أما محمود بن محمد بن العباس بن أرسلان المولود بخوارزم سنة ٤٧٢ هـ/ ١٠٧٩ م فهو من بيت علم وصلاح أيضا، حيث سمع من أبيه وجده بخوارزم[٤].

ومن البيوت التى زارها ياقوت، منزل القاسم بن الحسين بن محمد، أبو محمد الخوارزمى، صدر الأفاضل ت ٦١٧ هـ/ ١٢٢٠م[٥]، ويقول ياقوت[٦]: حضرت بمنزلة بخورزام فرأيت منه صدرا يملأ الصدور، ذا بهجة سنية وأخلاق هنية، وبشر طلق ولسان دلق، فملأ قلبى وصدرى وأعجز وصفه نظمى ونثرى، واستشدته من قبله فأنشدنى لنفسه بمنزله فى خوارزم، فى ذى القعدة سنة ٦١٦ هـ/ ١٢١٩م.

يا زمرة الشعراء دعوة ناصح لا تأملوا عند الكرام سماحا

إن الكرام بأسرهم قد أغلقوا باب السماح وضيعوا المفتاحا[٧]

ويقول ياقوت[٨]: قلت له: ما مذهبك؟ فقال حنفى ولكن لست خوارزميا لست

---

(١) الشهرستانى: بفتح الشين والراء، بينهما هاء، ثم السين المهملة الساكنة، والتاء مفتوحة ثالث الحروف، بعدها الألف وفى آخرها النون، هذه النسبة على شهر ستانه " وهى بلدة من الثغور" مما يلى خوارزم ناحية خراسان، ويقال لها رباط شهر ستانة، بناها أمير خرسان عبد الله بن طاهر فى خلافة المأمون، السمعانى: الأنساب، مج٣، ص ٤٩٠ .

(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٣، ج٥، ص ١٦٦ .

(٣) السبكى: طبقات الشافعية، ج٦، ص ١٢٨: ١٣٠ .

(٤) السبكى: نفسه، ج٧، ص ١٢٨: ١٣٠ .

(٥) القاسم بن الحسين بن أحمد الخوارزمى النحوى: ولده ٥٥٥ هـ / ١١٦٠م . القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٢، ص ٧٠٣ .

(٦) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٤، ص ٥٨٢ .

(٧) ياقوت الحموى: المصدر السابق، ص ٥٨٢ .

(٨) معجم الأدباء: مج ٤، ص ٥٨٣ .

خوارزميا يكررها، إنما إشتغللت ببخارى فأرى رأى أهلها. نفى عن نفسه أن يكون معتزليا.

هذه هى بيوت بعض العلماء التى لعبت دورا كبيرا فى نشر العلم، وتوسيع التعليم[١]، وحرية الفكر، مما كان له الأثر فى تطور الحياة العلمية والفكرية فى هذا الإقليم الخصب المليئ بالعلم والعلماء والأدباء .

و - حوانيت العلماء (دكاكين العلماء):

كان بعض العلماء يعملون فى الأسواق لكسب معاشهم وكانوا يستقبلون طلابهم فى حوانيتهم التى كانت هى أيضا ملتقى العلماء، حيث كانوا يتباحثون فى مختلف المواضيع المتعلقة بالحديث النبوى والرواية والشعر[٢]، وما إلى ذلك من فقه وكلام وغيره.

ومن هؤلاء العلماء المطرزى[٣]: ناصر بن عبد السيد بن على[٤] أبو الفتوح الخوارزمى الحنفى المطرزى، الأديب ولد بخوارزم سنة ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م وتوفى سنة ٦١٠ هـ / ١٢١٣ م، وكان حنفى المذهب، من رؤس المعتزلة، وله معرفة تامة بالعربية واللغة والشعر، وله تصانيف فى الأدب، وشعر كثير[٥] .

ومن تلاميذه القاسم بن الحسين الخوارزمى النحوى، ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٥ م أخذ من أستاذه العربية، وتفقه فى عليه[٦].

وممن قرأ عليه بخوارزم أيضا محمد بن عبد الستار الكردرى البراتقنينى المتوفى سنة ٦٤٢ هـ / ١٢٤٤ م[٧] .

---

(١) منير الدين أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص ٥٨٢ .

(٢) منير أحمد: تاريخ التعليم عند المسلمين، ص٧٢، محمد عبد العظيم: الحياة الفكرية فى أصفهان، ص ١٣ .

(٣) المطرزى: بضم الميم وفتح الهاء المهملة وتشديد الراء وكسرها وبعدها زاى، هذه النسبة إلى من يطرز الثياب ويرقمها . ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ٣٧١، ويقول ابن خلكان: لا أعلم هل كان يتعاطى ذلك بنفسه، أم كان فى آبائه من يتعاطى ذلك فنسب له والله أعلم، ابن خلكان: نفسه، ص ٣٧١ .

(٤) عبد السيد بن على المطرزى: كان فقيها وتفقه عليه ابنه ناصر، القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٢، ص ٤٢٥ .

(٥) الذهبى: تاريخ الإسلام ومشاهير الأعلام، مج ١٨، القسم الأول، وفيات ٦٠١ - ٦١٠، ص ٤١٤ .

(٦) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٢، ص ٧٠٣ .

(٧) القرشى الحنفى: نفسه، ج٣، ص ٢٢٨: ٢٢٩ .

ومن العلماء أصحاب الحرف أيضا: السكاكى (٤٥٥ - ٦٢٦ هـ / ١١٤٩ - ١١٢٨ م)[١]: يوسف بن أبى بكر بن محمد، أبو يعقوب السكاكى[٢]، من أهل خوارزم، علامة إمام فى العربية، والمعانى والبيان والأدب والشعر، متكلم فقيه متفنن فى علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان[٣] .

ومن تلاميذه: مختار بن محمود بن محمد الزاهدى ت ٦٥٨ هـ / ١٢٥٩ م، قرأ علم الكلام على أستاذه السكاكى[٤] .

وخلاصة القول أن حوانيت العلماء لم تكن فقط للبيع والشراء بل أنها كانت بمثابة معهد علمى يلتقى فيه أهل العلوم والآداب فيتبادلون علومهم وينشرون علمهم ويتناقشون فى شتى فروع العلم.

ز - حوانيت الوراقين (دكاكين الوراقين):

لما اتسعت الدولة الإسلامية، وكثرت التواليف العلمية والدواوين، وحرص الناس على تناقلها فى الآفاق والأمصار فانتسخت وجلدت وجاءت صناعة الوراقين[٥]، وكانت حوانيت الوراقين عبارة عن دكاكين صغيرة تقام قرب المساجد، ويجلس فيها باعة الكتب الذين كان أكثرهم من الخطاطين أو النساخين أو المتأدبين[٦]. وكان الخط النسخ من أشهر الخطوط المستخدمة لنسخ الكتب العلمية والدينية والتاريخية والأدبية[٧]، هذه الدكاكين انتشرت سريعا وغدت مسرحا للثقافة والحوار العلمى فى العواصم والبلدان المختلفة وحفلت كل مدينة بعدد وافر منها[٨]. ومنها مدينة الجرجانية عاصمة إقليم خوارزم، وأصبحت الوراقة صورة من النشاط الفكرى والعلمى فى الحضارة الإسلامية فى إقليم خوارزم، حيث كان للوراقين الأثر الفعال فى تنشيط الحركة العلمية وتيسرها، وتطوير

---

(١) السكاكى: هذه النسبة إلى الحدادين الذين يعملون الآلات من العاج والأبنوس. القزوينى: آثار البلاد، ص ٥٢٠ .

(٢) السكاكى: كان فى أول أمره صانع معادن وقد مهر فى حفر السكة ومن ثم لقب بالسكاكى، وكان يصنع أيضا الأقفال الدقيقة: دائرة المعارف الإسلامية، المجلد ١٢، ص١٢.

(٣) ياقوت الحموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٦٤٧ .

(٤) القرشى الحنفى: الجواهر المضيئة، ج٣، ص ٦٢٣ .

(٥) ابن خلدون: المقدمة، مج٢، ص ٣٤٩ .

(٦) عبد النعيم حسانين: سلاجقة إيران والعراق، ص ١٩٥ .

(٧) الدمشقى: اليقين فى معرفة أنواع الخطوط، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورق ٥,

(٨) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٤٨ .

الكتاب والافتنان فى إخراجه وتجليده وتذهيبه[١]، وكان للفرس والترك على السواء عناية خاصة بالتذهيب بالنقوش الثمينة فى الخط قديما وحديثا[٢].

ونظرا لأن سكان خوارزم كما ذكرنا من الفرس والترك، فقد ازدهرت حوانيت الوراقين فى هذا الإقليم، خاصة فى العصرين السلجوقى والخوارزمى. ونشطت تجارة الوراقين وذلك بإنشاء دكاكين (حوانيت) للتجارة[٣] فانتشرت المصانع فى كثير من أنحاء البلاد الإسلامية، حيث أصبح الورق من المواد الشائعة فى الكتابة والتدوين فى المدن الإسلامية[٤]، ومنها مدن وقرى خوارزم .

وقد كثرت مجالس الإملاء وانتشرت فى المدن الإسلامية، وكان كثير من مؤلفات المسلمين قد ألفت عن طريق الإملاء، ولهذا فقد ظهرت كتب كثيرة مقرونة باسم الأمالى، منها "الأمالى فى النحو"[٥] للزمخشرى ت ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م[٦] .

ومن الكتاب الخوارزميين البارعين فى الكتابة والنسخ منهم أحمد بن إبراهيم الأديبى، كما كان كاتبا بارعا . . . وافر الخط من حسن الكتابة، وكان خطة فى الدرجة العليا من أقسام الحسن والجودة[٧] .

ولم يقتصر دور الوراق على عملية النسخ والكتابة والتبييض، بل أن دوره تعدى إلى عملية أخرى، ألا وهى تجارة الكتب والمؤلفات[٨]، ومن التجار بائعى الكتب الذين زاروا خوارزم، ياقوت الحموى[٩]، ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م، والذى استغل أثناء زيارته هذه بالنسخ بالأجرة، وبيع الكتب كما استفاد بالمطالعة على المؤلفات الضخمة لعلماء خوارزم[١٠].

---

(١) الجبورى: الكتاب فى الحضارة الإسلامية . ص ١٢٤ .
(٢) الدمشقى: اليقين فى معرفة أنواع الخطوط، مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقة ٨ .
(٣) شوقى ضيف: تاريخ الأدب العربى، ص ١٢٣ .
(٤) محمد طه الحاجرى: مجلة المجمع العراقى، الورق والوراقة فى الحضارة الإسلامية، مج ١٢، مطبعة المجمع العلمى العراقى، ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م، ص ١٣٧: ١٣٨ .
(٥) الجبورى: المصدر السابق، ص ٨٠ .
(٦) ياقوت الجموى: معجم الأدباء، مج٥، ص ٤٩٤ .
(٧) ياقوت الحموى: نفسه، مج٢، ص ٢٤٨ .
(٨) هالة شاكر عبد الرحمن: الورق والوراقون فى العصر العباسى، (١٣٢ - ٦٥٦ هـ / ٧٤٩ - ١٢٥٨ م) رسالة ماجستير غير منشورة، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م، ص ١٢٤ .
(٩) معجم البلدان، مج٢، مج٣، ص ٢٥٥ .
(١٠) ابن عماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج ٣، مج٥، ص ١٢١ .

وبذلك كانت حوانيت الوراقين، معاهد علمية يلتقى فيها أهل العلم، للقراءة، والإطلاع، وللمناقشة والمناظرة فى مختلف أنواع العلوم والفنون، مما كان له أبلغ الأثر فى ازدهار الحركة الفكرية التى شهدها العصرين السلجوقى والخوارزمى.

ح - قصور السلاطين ومجالس الوزراء:

لقد حفلت قصور السلاطين والوزراء والأمراء بمجالس العلم، فكانت مجالسهم مجمعا يفد إليه العديد من العلماء والأدباء لعرض إنتاجهم، أو للمناقشة والمناظرة مما أدى إلى إثراء الحياة الفكرية فى خوارزم بصفة عامة، والجرجانية خاصة بصفتها عاصمة خوارزم فى العصر السلجوقى، وعاصمة الدولة الخوارزمية .

وكان أول ملوك السلاجقة طغرلبك ت ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م[١]، واستوز السلطان طغرلبك، أبو نصر محمد بن منصور بن محمد، الملقب عميد الملك الكندرى[٢]، كان من رجال الدهر جودا وسخاء وكتابة وشهامة[٣] .

ويقول الباخرزى[٤]: جمعنى وإياه مجلس .... سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م فعاشرت فيه شابا، مهر حداثته قروح، فرأيت هنالك جسما كله روح، وأنتضاه طغرلبك لولاية إقليم خوارزم وفوضه إلى أغراضه .

ولقد عده النظامى العروضى[٥]: من جملة الكتاب الذين لابد للكاتب الإطلاع على كتبه، وعلى الكاتب أن يطلع على هذه الكتب ويديم مطالعتها، حتى يصقل ذهنه، وينير طريقه، ويستحق اسم كاتب .

ولقد طلب منه طغرلبك أن يخطب ابنة خوارزمشاه، فخطبها لنفسه، فخاف تغير قلب مخدومة عليه، فعهد إلى لحيته، وإلى مذاكيره فجبها[٦] .

---

(١) ابن العماد الحنبلى: نفسه، مج ٢، مج٣،ص ٣٩٥ .

(٢) الكندرى: بضم الكاف وسكون النون وضم الدال وكسر الراء المهملتين . هذه النسبة إلى بيع الكندر وهو العلك، وتنسب إلى قريتين . السمعانى: الأنساب، مج٤، ص ٦٥٣، أما القرية التى ينسب إليها المذكور: هى قرية من قرى طريثيت، وهى من نواحى نيسابور خرج منها جماعة من العلماء . ابن خلكان: مج٥، ص١٤٢: ١٤٣ .

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج ٣، ص ١٣٨ .

(٤) الباخرزى: دمية القصر وعصرة أهل المعصر، ج٢، ص ١٣٨: ١٣٩ .

(٥) النظامى العروضى جهار مقالة، المقالة الأولى، ص ٢٣ .

(٦) الباخرزى: دمية القصر، ص ١٤٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ١٤١، ١٤٢ .

وكان الكندرى شديد التعصب على الشافعية كثير الواقعية فى الشافعى، رضى الله عنه[١]، ولما انتقلت السلطنة إلى السلطان ألب أرسلان ٤٥٥ - ٤٦٥ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٧٢ م عاقب ذلك الوزير وسجنه حتى قتل[٢] .

على أن أعظم وزراء السلاجقة الذين اعتنوا بالعلم والعلماء هو الوزير نظام الملك الطوسى، الذى أعتنى كما قلنا ببناء المساجد والمدارس ودور الكتب، وإلى جانب ذلك، كانت مجالسة مليئة بالعلماء، حيث جعل فى داره ندوة يوم الأثنين من كل أسبوع يرتادها العلماء والأدباء دون قيد فى سن، أو شرط فى مذهب فهذا الحنبلى والملكى إلى جانب الحنفى والشافعى[٣]. فهذا أبو مضر الضبى، ت ٥٠٧هـ/ ١١١٣م، نزيل خوارزم وأستاذ الزمخشرى المعتزلى أتصل بالوزير نظام الملك الشافعى، وكان مقربا منه[٤]، وليس أدل على هذه الصلة من مدح الزمخشرى ت ٥٣٨ هـ / ١١٤٣ م، تلميذ أبو مضر - للوزير نظام الملك[٥]، حيث يمدحه مقرا بعون أستاذه .

إليك نظام الملك شكواى فاستمع إلى بث مجذوذ العايش ضنكها
طريح خطوب كل يوم تنويه ببائقة تنحى عليه ببركها
ولو لم يل الضبى عنى عراكها لغالت يد البلوى أديمى بعركها[٦]

وكان بلاط أمراء خوارزم ووزرائهم مليئا بالعلماء، حيث كان الأمراء يقربونهم، فهذا محمد بن أنوشتيكن (٤٩٠ - ٥٢١هـ/ ١٠٩٦ - ١١٢٧م)، كان دين فاضل، خير تقى، سخى كثير التلاوة والغزو، عارفا بالتفسير وكان من أعدل الملوك[٧]. ومن العلماء المقربين له الطبيب الشريف شرف الدين إسماعيل ت ٥٣١ هـ / ١١٣٦ م، وكان له مقرر على السلطان فى كل شهر ألف دينار.

وكان قصر العامريه[٨]، قصر آتسز خوارز مشاه (٥٢١ - ٥٥١هـ/ ١١٢٧ -

---

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، مج٥، ص ١٣٨، ابن العماد الحنبلى: شذرات الذهب، مج٢، مج٣، ص ٣٩٥ .
(٢) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٢١٤ .
(٣) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١ .
(٤) مصطفى الصاوى الجوينى: منهج الزمخشرى، ص ٣١ .
(٥) محبوبة: نظام الملك، ص ٢٥١ .
(٦) الذهبى: التهذيب سير أعلام النبلاء، ج٢، ص ٥٢٢ .
(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ج٣، ص ٤٨ .
(٨) الأصفهانى: جريدة القصر وجريدة العصر، ج٢، حاشية ١، ص ٢٠١ .

١١٥٦م)، مليئا بالعلماء والأدباء، وكان الرشيد الوطواط، الأديب والكاتب والشاعر، ت ٥٧٣ هـ / ١١١٧ م، الخاص لآتسز خوارز مشاه، وألف له "حدائق السحر فى دقائق الشعر باللغة الفارسية[١]" ومن أشهر المفسرين والمحدثين والفقهاء، الذين كانوا فى مجالس القصر، الزمخشرى ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م، وألف له كتاب "مقدمة الأدب"[٢] ومن أطباء القصر، الطبيب الشريف الدين إسماعيل، ٥٣١هـ/ ١١٢٦م، وألف له كتاب "يادكار" فى الطب بالفارسى، مجلد واحد[٣] .

ولقد مدح الرشيد الوطواط قصر العامرية فى قصيدة مطلعها:

العـــــامرية مالها أمثال بالعامرية تضرب الأمثال[٤]

وكان السلطان آتسز يحب مجالسة الرشيد الوطواط، فأمر أن يبنى له قصر، بجوار قصر العامرية[٥] .

ولقد ظلت قصور سلاطين خوارزم، كمعاهد للتعليم، فكانت قصورهم، مجالس للعلم والأدب والشعر مما أدى على إثراء الحياة الفكرية فى إقليم خوارزم، كما كان الحال فى مجالس الوزراء .

ومن أشهر وزراء الدولة الخوارزمية، الوزير نظام الملك سعد الدين مسعود بن على، ت ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م، الذى وزر للسلطان تكش بن إيل آرسلان (٥٨٩ - ٥٩٦هـ/ ١١٩٣ - ١١٩٩م) وكان من فقهاء العصر، وعمل على تقوية أحكام الشريعة النبوية[٦]، وولده الذى وزر للساطان تكش، بعد مقتل أبيه، الذى اشتهر بحبه للعلم والعلماء[٧].

أما الوزير، علاء الدين العلوى، وزير السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه (٥٩٦ - ٦١٧هـ/ ١١٩٩ - ١٢٢٠م)، فقد كان عالما وأديبا، كما كان يشعر بالعربية[٨]

---

(١) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ٤٣٠، الهامة مفتاح: " جغرافياى تاريخى بلخ وجيحون " ومضافات بلخ، طهران، ١٣٧٦ هـ، ص ٢٣٣ .
(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيلن، مج٥، ص ١٦٩ .
(٣) ابن ابى أصبيعة: عيون الأنباء، ج٣، ص ٤٨، حاجى خليفة: كشف الظنون، مج٤، ص ٢٠٤٠ .
(٤) الأصفهانى: جريدة القصر، ج٢، ص ٢٠١ .
(٥) القزوينى: أثار البلاد وأخبار العباد، ص ٣٣٤ .
(٦) خواندمير: دستور الوزراء، ص ٣٠٩ .
(٧) خواندمير: نفسه، ص ٣١٠ .
(٨) ابن ابى أصيبعة: عيون الأنباء، ص ٣٩ .

والفارسية. وكان مجلسه يضم المفسر والفقيه والأديب والمتكلم فخر الدين الرازى ت ٦٠٦ هـ / ١٢٠٩ م[١]، وغيرهم من رجال العلم .

هكذا كانت، قصور السلاطين ومجالس الوزراء، معاهد علمية هامة فى تلك الفترة فى إقليم خوارزم، حيث ساعدت على نشر العلم والفكر بكافة ألوانه، ساعد على ذلك اهتمام السلاطين والوزراء، وحرصهم على أن تكون قصورهم ومجالسهم منارة للإشعاع الفكرى والعلمى .

ط - البيمارستانات (المستشفيات):

وتختصر فى كثير من الأحوال فيقال "مارستان" وهى مأخوذة من الكلمة الفارسية "بيمار" بمعنى مريض و"استان" بمعنى مكان، وتد على المستشفى، والبيمارستان فى الاصطلاح الحديث يطلق بخاصة على مكان يأوى المجانين[٢] .

وكانت البيمارستانات دورا لعلاج المرضى[٣]، كما شملت تدريس صناعة الطب، حيث إنه لابد لمن يتعلم الطب ويدرسه ويمارسه كمهنه أن يعمل فى المستشفيات حتى يتدرب ويتمرس مهنة الطب، ويستطيع أن يكتسب الخبرة من الحالات التى يقابلها تحت إشراف أساتذة علماء[٤] . كما ان بعض من مشايخ الطب كان يجعل له مجلسا خاصا لتدريس الطب فى منزله أو فى مدارس خاصة بذلك[٥] .

ولقد انتشرت البيمارستانات المتنقلة فى العصر السلجوقى كان يستصحب فى معسكره بيمارستانا محملا على أربعين جملا[٦]. وفى العصر الخوارزمى أيضا، عندما حضر السلطان محمد خوارزمشاه ت ٦١٧هـ/ ١٢٢٠م، إلى بغداد، فمرض وهو بمعسكر ظاهر البلد، ومرض الخليفة ببغداد، فكان الطبيب يداوى السلطان بظاهر بغداد، ويداوى الخليفة ببغداد[٧] .

(١) ابن ابى أصيبعة: نفسه، ص ٣٩ .
(٢) دائرة المعارف الإسلامية، الشارقة، ج٧، ص ٢٠٦٤، مادة بيمارستان .
(٣) توفيق الطويل: فى تراثنا العربى الإسلامى، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ص ١١٤ .
(٤) عمر فروخ وأخرون: تاريخ العلوم عند العرب، دار النهضة العربية، بيروت (١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م) ص ٥٠١ .
(٥) محمد كامل حسين وآخرون: الموجز فى تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، جزءان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الجمهورية العربية الليبية، بدون، ص ٢٣٠ .
(٦) حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م، ص ٢٠٢ .
(٧) ابن أبى أصيبعة: عيون الأنباء، ج٢، ص ٢٦٧ .

ولا توجد أى إشارة فى المصادر التاريخية والجغرافية عن وجود أسم بيمارستان فى خوارزم، على أن وجود الأطباء ومعالجتهم البديعة وآثارهم الطبية الحسنة، لخير دليل عن وجود بيمارستانات تمارس فيها هذه المعالجات(١) .

وخلاصة القول أن البيمارستانات لم تكن فقط للمعالجات الطبية، بل كانت معاهد للتعليم ولتدريب الطلاب على مهنة الطب مما كان له أثره فى ظهور عدد من الأطباء فى إقليم خوارزم خلال العصرين السجلوقى والخوارزمى .

ى - الزوايا والأربطة والخوانق:

الزويا جمع زاوية، وهى لفظ عربى معناه الركن من الدار، أو المكان عامة(٢)، وهى من معاهد العلم والثقافة، وهى عبارة عن أبنية صغيرة منفصلة فى جهات مختلفة من المدينة فى شكل دور أو مساجد صغيرة ويقيم فيها المسلمون الصلوات الخمس ويتعبدون فيها، ويعقدون بها حلقات الدراسة فى علوم الدين وما يتصل بها من العلوم النقلية والعقلية(٣)، وكانوا يقفون هذه الزوايا ومثلها التكايا على الفقراء الصوفية، وكانت الزوايا تبنى أحيانا لشيخ مشهور يقوم بنشر العلوم وينقطع للعبادة(٤)، ومن ذلك زاوية الشيخ نجم الدين الكبرى ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م، ولقد رآها ابن بطوطه عندما زار خوارزم، وهى تربة الشيخ، وبخارجها قبر الإمام الزمخشرى وعليه قبة(٥) .

أما الأربطة: فأصل الرباط: ما يربط فيه الخيل(٦)، عملا من قول الله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...** ﴿٦٠﴾ ﴾(٧) . ثم قيل أن الرباط مكان إقامة الحامية الرابطة عند ثغور العدو(٨)، حيث يدافع المجاهد الرابط المقيم فى الرباط عمن وراءه على طاعة الله وبدعائه عن العباد والبلاد(٩) .

---

(١) ابن أبى أصيبعة: نفسه، ج٣، ص ٤٨ .
(٢) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، حاشية ٤، ص ١٨٢ .
(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق الإسلامى، ص ٢٥٠ .
(٤) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٦٢ .
(٥) أبن بطوطة: الرحلة، ص ٦٠ .
(٦) السهروردى: (شهاب الدين أبى حفص عمر السهروردى)، ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م، تحقيق د/ عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، جزءان، دار المعارف، القاهرة، بدون، ج١، ص ١٨٠ .
(٧) سورة الأنفال: الآية ٦٠.
(٨) السهروردى: عوارف المعارف، ج١، ص ١٨٠ .
(٩) لمزيد من التفاصيل: عن خصائص أهل الأربطة، راجع السهروردى، ج١، ص ١٨٣: ١٩٢ .

ومع مرور الزمن تغيرت وظيفة الأربطة فى البلاد الإسلامية، فلم تعد مكانا عسكريا، بل أصبحت أماكن لحياة الزهد والتقشف، والتصوف، يرتادها الصوفية للعبادة والانقطاع إلى الله، والتوبة، ومجاهدة النفس، والحد من شهواتها، كما أصبحت تؤدى خدمات اجتماعية ودينية، إضافة إلى دورها الثقافى فى الوعظ والإقراء والتحديث والسماع والإفتاء ومنح الأجازات العلمية وتصنيف الكتب، وساعد على ذلك أن الواقفين لهذه الرباطات قد أنشأوا فيها الخزائن، ووقفوا بها الكتب، فكان الزهاد والمتصوفة يترددون على مكتباتها، وكذلك كان يفعل الطلاب الذين يرحلون فى طلب العلم، وكان العلماء يتخذون من الرباط، أماكن للقراءة والمطالعة والاستنساخ والتأليف ويساعدهم على ذلك مكتبات الأربطة العامرة، وإمكانية مكوثهم فيها وقتا طويلا وما يتهيأ لهم فيها من معنوية بشرية تتمثل فى الطلاب والمتصوفة، الذين كانوا على استعداد تام للتعاون طلبا للثواب(١).

ولقد انتشرت الأربطة فى إقليم ما وراء النهر عامة وخوارزم خاصة وفى ذلك يقول ابن حوقل(٢): "بلغنى أن بما وراء النهر زيادة على عشرة آلاف رباط، وفى كثير منها إذا نزل النازل أقيم علف دابته فطعامه إن أحتاج إلى ذلك".

ولقد شجع سلاطين السلاجقة الصوفية على ذلك وأقاموا لهم الأربطة(٣). وفى وصف محمود بن محمد بن عباس بن آرسلان الخوارزمى لإقليم خوارزم يقول(٤) "وله رباطات حصينة". هذه الأربطة أقام فيها الصوفية وكان للصوفية عدة وكل طريقة لها شيخ تسمى بطريقته باسمه(٥).

أما الخوانق: فهى جمع خانقاه، والخانقاة كلمة فارسية معناها البيت، وهى حديثة فى الإسلام، فى حدود الأربعمائة، وجعلت لتخلى الصوفية فيها للعبادة والتصوف(٦)، وكانت تبنى غالبا على شكل مساجد الصلاة، ألا أن فيها غرفا عديدة لمبيت الفقراء

(١) مريزن عسيرى: الحياة العلمية فى العراق فى العصر السلجوقى، ص ٢٣٩، الزهرانى: الحياة العلمية فى صقلية الإسلامية، ص ٢٤٢ .

(٢) صورة الأرض، ص ٣٨٦، أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٤٨٧ .

(٣) محمد محمود إدريس: تاريخ العراق والمشرق، ص ٢١٥ .

(٤) الخوارزمى: تاريخ خوارزمشاه، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٣ مجاميع، ميكروفيلم ٥١٧٠، ورقة ٤ .

(٥) لمزيد من التفاصيل راجع الصوفية، الفصل الثالث، ص ١١٤ - ١١٥ .

(٦) المقريزى: السلوك لمعرفة دول الملوك، حاشية ٤، ص ١٨٢، أبو صالح الألفى: الفن الإسلامى، ص ١٢٢ .

والصوفية وبيتا كبيرا لصلاتهم مجتمعين وللقيام بأدوارهم وأذكارهم، ولا يكون فيها فى الغالب منبر لأن صلاة الجمعة لا تقام فيها إلى نادرا[١].

وبذلك كانت الزوايا والأربطة والخوانق معاهد علمية تدرس فيها العلوم المختلفة مما كان له أثر فى نشاط الحركة الفكرية فى العالم الإسلامى عامة وخوارزم بصفة خاصة .

ك - القلاع والحصون:

اشتهر إقليم خوارزم ببناء القلاع والحصون والأسوار لحمايتها . ومن الوصف الجغرافى السابق يتضح أنه بمدن وقرى خوارزم كلها قلاع وحصون وخنادق وأسوار.

وقد اتخذت هذه القلاع والحصون كنقاط حربية إلى جانب كونها مكانا للتعليم حيث كان يرابط فيها الفقهاء والعلماء والطلاب فتحولت من قلاع حربية إلى قلاع علمية[٢].

ومن هذه القلاع الحصينة قلعة منقشلاغ، بالفتح ثم السكون وفتح القاف وسكون الشين المعجمه وأخره عين معجمه: قلعة حصينة فى آخر حدود خوارزم، قرب البحر الذى يصب فيه جيحون وهو بحر طبرستان[٣]، أقام بها المؤيد بن الموفق بن أحمد الملكى ثم الخوارزمى ت ٥٦٨ هـ / ١١٧٢ م، وكتب إليه الموفق وهو بخوارزم وابنه بمنقشلاغ يتشوقه.

أيا برق نجد هجت شوقى إلى نجد ... وأضرمت فى الأحشاء ناثرة الوجد
خوارزم نجدى وهى غير بعيدة ... وقد حلئت عيسى برغمى عن الوخد
إذا غازلت ريح الشمال رياضها ... عقيب نداها خلتها حبة الخلد
فلا وقلبى عين عينى ناشف ... ولا عين عينى مطفئ الوهج والوقد
فيا إخوتى هل تذكرون أخالكم ... غريبا بمنقشلاغ فى شدة الجهد
ألام بما أبدى من الشوق نحوكم ... على أن ما أخفيه أضعاف ما أبدى[٤]

---

(١) عبد الله عبد الدايم: التربية عبر التاريخ، ص ١٦٠ .
(٢) محمد عبد العظيم: الحياة الفكرية فى أصبهان، ص ١٢ .
(٣) بحر طبرستان: هو بحر الخزر وهو بحر واسع عظيم، ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ج٢، ص ٢٧٢ .
(٤) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٣٣٣ .

ومن أهم قلاع إقليم خـوارزم ايضا هزاراسب، ويقـال لها بالفارسـية هزارسف[١] ومعناها بالفارسية أيضا ألف فرس[٢]، وهى مدينة كبيرة وقلـعة حصينة بأرض خوارزم، وهى كالجزيرة وليس إليـها إلا طريق واحد[٣] على ممر قد صنع من نواحى خوارزم بينها ثلاثة أيام وهى فى الفضاء وفيها أسواق كثيرة وأهل ثروة[٤].

ولقد أجمع المؤرخـون والرحالة الجغرافـيون على أن مدن وقرى خـوارزم بها قلاع وحصون وخنادق وأبواب[٥]. هذه القلاع التى كانت معهد من معـاهد العلم يجتمع فيها العلماء والطلاب للمناقشة والمناظرة .

وهكذا فقد لعبت معاهد العلم دورها البارز، فى إخراج العديد من العلماء والقراء والمفسـرين والمحدثين، والفـقهاء والأدباء والـشعراء والأطبـاء، وغيرهـم، ممن كان لهم دورهم الفـعال فى إثراء الحـيـاة الفكرية فى إقليم خـوارزم، وغيـره من الأقـاليم والمدن الإسلامـية المجاورة، بفضل الإنـتاج العلمى والأدبى الضخم الذى كـان يعرض فى هذه المعاهد العلمية خلال العصرين السلجوقى والخوارزمى.

* * * * * * *

(١) أبو الفدا: تقويم البلدان، ص ٤٧٩ .
(٢) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٤، ج٨، ص ٤٧٧، لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٤٩٤ .
(٣) القزوينى: آثار البلاد وأخبار العباد، ص ٥٦٧ .
(٤) ياقوت الحمرى: المصدر السابق، ص ٤٧٧ .
(٥) الأصطخـراى: المسالك والممـالك، ص ١٦٨، ١٦٩، ابن حوقل: صـورة الأرض، ص ٣٩٥، ٣٩٦، المقدسى: أحسن التقاسيم، ص ٢٢٩، ٢٣٠، لسترنج: بلدان الخلافة، ص ٤٩٠، ٤٩٨ .